الوجودية عند سارتر

✍ إعداد الدكتورة

عايدة عبد الحميد عبد الرحمن الفقي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

E mail: aidaabdelhamid@yahoo.com

الملخص:

الوجودية عند سارتر

✍ إعداد د/ عايدة عبد الحميد عبد الرحمن الفقي

"الله واهب الوجود ومانح المعاني"يقر بها كل من عرف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى" .

في الوجودية ألقى سارتر على الإنسان المسئولية التامة،في اختيار أسلوب حياته،عندما يختار الإنسان لنفسه،فهو يختار أيضا لكل الناس.فهي تجربة ذاتية مباشرة يعايشها الإنسان،تختلف من شخص إلى آخر،ترفض الأخذ بخبرات الآخرين أو تجاربهم.تمكن الإنسان من حرية التعبير والابتكار،تخرجه من القولبة والخضوع للتفكير الجماعي،وتخلصه من كل قيد أو التزام،سواء كان ديني أو أخلاقي .العدمية عند الوجودية،هي عدم وجود حقائق أبدية،لا يوجد هدف أبدي،لا يوجد معنى مطلق للوجود الإنساني،وكل ما نصادفه في الحياة تفاهة اللا معنى.لا يوجد إله،إذا لا يوجد معنى مطلق للحياة الإنسانية

الكمات المفتاحية : الوجود - المسئولية - الأسلوب - التعايش - التجارب – الابتكار- الخضوع .

E mail: aidaabdelhamid@yahoo.com

Summary:

"God is the one who grants existence and he is the giver of meaning" admits that everyone who knows god's greatness, and every one who restrains himself from evil desires.

In Existentialism, Sartre said that man is not responsible for himself individually, but also responsible for all other men and that in choosing for himself he chooses for all men.

it's a direct individual experience which a man lives, and it varries from one to another, it can't be evaluated by others or their experiences, and it provides a man the freedom of choice and creativity, breaks him free from the pattern and submission to collective thinking, it breaks him free from every chain, and every commitment, whether it's religious or moral.

In Existentialism, Nihilism is the denial or lack of belief toward the reputedly meaningful aspects of life, and argues that life is without objective meaning, purpose, or intrinsic value, and since there is no absolute meaning of human life, there is no god".

E mail: aidaabdelhamid@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى أهله وصحبه وسلم.

مقدمة :

عبر سارتر عن فلسفته من خلال كتبه الفلسفية والأدبية، يبحث فيها عن قضية معينة هي، من الذي يمنح حياتك معنى؟الإله، الحب، المال، أو الوظيفة، أو غير ذلك، فكل إنسان لديه مفهومه الخاص عن هدفه في الحياة الذي يأمل في إيجاده.يعتقد الإنسان بما تعلمه من الدين والفلسفة أنه خلق بجوهر خاص "ماهية إنسان"، و فرض عليه الهدف من وجوده في الحياة، بأمر من الإله.حاول سارتر تخطي الفلسفة والدين لفهم الحياة، وما بها من معاني، لأن كل إنسان يرغب في الحصول على هذه المعانى ويحتاجها، ليكون ما يريد أن يكونه. يوجه الكثير من الناس كل طاقته في سبيل إيجاد معنى لحياته، قد يجده في الدين، أو في العدالة الاجتماعية، أو في الثقافة، أو في البحث عن الجمال، أو في غيرها من الأمور التي يعتبرها فلاسفة الوجودية، أن أي منها، أو كلها، قد يعطي لحياة الإنسان المعنى، وفي نفس الوقت، قد لا يعطي ولا واحد منها، أي معنى.

عندما طرح فلاسفة اليونان نظرية أصالة الماهية أو الوجود للمناقشة، لم يجدوا لها تصورا في الحال، وكأي فكرة استغرق الجدال فيها الكثير من السنين.بين أفلاطون وأرسطو أن لكل شيء جوهر"خواص أساسية ضرورية"، تحقق ذات الشيء ليكون ما هو عليه، تخصه وتفصله وتميزه عن غيره.إذا فقدت هذه الخواص، لم يتحقق الشيء ويفقد هويته، ويكون شيئا مختلفا.فمثلا :إذا لم يمتلك السكين نصلا(شفرة السكين) فلن يكون سكينا، لأن النصل هو ما يفصل ذاتية السكين عن غيره من الأشياء، النصل خاصية أساس تحدد وظيفة السكين(الذاتية).وذاتية الإنسان عند الوجودية هي الحرية، السمة التي تميز الإنسان الفرد عن بقية الأشياء.

في أواخر القرن الثامن عشر، رفض بعض المفكرين، تصور أن الإنسان يأتي إلي الحياة بحقيقة أو غاية ملزم بها، أو مفروضة عليه، وعليه أن يختار الطريق،

وأن يبحث عن غايته.تبنى فريدريك نيتشه فكرة العدمية، أي الاعتقاد باللامعنى المطلق للحياة، و في القرن العشرين طرح جون بول سارتر سؤالا، ماذا لو وجدنا أولا، وولدنا بدون أي غاية؟و يعود الأمر إلي الإنسان في إيجاد حقيقته الخاصة به، وكيف يجد معنى في عالم بلا معنى؟هذا موضوع البحث **"الوجودية عند سارتر"**

يتكون من:مقدمة

تمهيد:جان بول سارتر

الفصل الأول:تعريف الوجودية ومرجعيتها، ويتكون من مبحثين

المبحث الأول:معنى الوجودية

المبحث الثاني:تأثر سارتر بالفلاسفة

الفصل الثاني:فلسفة سارتر، ويتكون من مبحثين

المبحث الأول:البحث عن المعاني

المبحث الثاني:الوجود يسبق الماهية

المبحث الثالث:الحرية عند سارتر

الفصل الثالث:ما تناقض به الوجودية العقل والدين، ويتكون من مبحثين

المبحث الأول:خصوصية الفرد لا تنفي عنه الماهية العامة

المبحث الثاني:أفعال الله كلها خير

والخاتمة

أرجو من الله العلي الكريم، أن يمتعنا بما أنعم علينا، من معاني الإنسانية، ويرزقنا تمام الشكر له، والاعتراف بوافر فضله، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين

تمهيد :

جان بول سارتر ١٩٠٥ ـ ١٩٨٠

سارتر فيلسوف وأديب فرنسي، يعبر عن فلسفته من خلال رواياته الأدبية، وأكثر ما يميزه، طرحه لنظرية "الوجودية"، وارتباطها به بشكل كامل.تقوم فلسفته على بداية الإنسان وأساسه هو الوجود، وليس الماهية، ورحلته في الحياة، هي البحث عن الماهية، التي يختارها، يحدد هدفه بنفسه من الحياة، لأنه لم يفرض عليه قبل ولادته، ولا بعد ميلاده.

ولد في باريس عام ١٩٠٥م.مات والده وكان ضابطا بالجيش الفرنسي بعد خمسة عشر شهرا من ولادته، تولى جده تربيته حتى التحق بالمدرسة العامة في سن العاشرة من عمره.فضل سارتر القراءة، في مكتبة البيت الكبيرة، عن مصادقة الأطفال في سنه. انتهت فترة السعادة التي عاشها مع أمه عام ١٩١٧، عندما تزوجت والدته، لأنه كان يبغض زوج أمه كثيرا.عاش حياة، يغلب عليها طابع الوحدة والنفور في البيت، و كذلك في المدرسة؛فمكنه ذلك من القدرة على الملاحظة والتحليل؛فكان أحد أبرز فلاسفة الوجودية، بل وأشهرهم.تلقى تعليمه في(مدرسة المعلمين العليا)وتخرج منها عام ١٩٢٩م.

التحق سارتر بالجيش وتعلم فيه الأرصاد الجوية، ثم ألقى الجيش الألماني القبض عليه عام ١٩٤٠م، واستمر سجينًا لمدة تسعة أشهر، وبعد خروجه من السجن عمل بالتدريس في الليسيه.كان سارتر في بداية حياته ينزع إلى الفلسفة، لكنه آمن أن الانخراط في الواقع هو الواجب الأسمى للمفكر.وفي مطلع السبعينيات توفيت والدته، وتعرض بعدها لأزمة قلبية، وضعف نظره إلى أن أصبح شبه أعمى.وفي عام ١٩٨٠م هاجمته أزمة قلبية أخرى، وبعض المشاكل في الرئة، تم حجزه في المستشفى، ثم راح في غيبوبة توفى بعدها.

مؤلفاته :

ترك سارتر، إنتاج غزير من الأعمال الأدبية، روايات ومقالات ومسرحيات، وكتابات فلسفية، وسير ذاتية.أثرت فلسفته الوجودية، التي نالت شعبية واسعة، على معظم أدباء عصره.في الفترة التي بدأت بين الحرب العالمية الأولى والثانية، منها:مسرحيتا الذباب والجلسة المغلقة.جعل سارتر من الأدب وسيلةً لطرح أفكاره الفلسفية، لتقريب أفكاره من الجمهور.له كتاب شهير بعنوان ما الأدب؟يبين فيه اطلاعه على مختلف المذاهب الأدبية ونقده لها.ودون سيرته الذاتية تحت عنوان (الكلمات)، صدرت عام ١٩٦٤م.

كتب سارتر عددًا من المؤلفات المتنوعة، منها:(تعالي الأنا موجود) ١٩٣٤م، طرح فيه أساسيات الوجودية كما يعتقدها، و(التخيل) ١٩٣٦م، ورواية (الغثيان) ١٩٣٨م، وفي عام ١٩٤٣م نشر أهم كتاباته الفلسفية (الوجود والعدم)،وفي محاولة للتوفيق والتقارب بين النزعة الفردية الوجودية والجماعية الماركسية، ألف كتابه(نقد العقل الجدلي) الذي صدر عام١٩٦٠ م

في مسرحية "لا مفر-"No Exit"ذكر عبارته الشهيرة:"الجحيم هو الآخرون" يقرر بها الهدف الذي يريد كل إنسان تحقيقه، أن يحقق الموجود المتناهي الرغبة في الإلوهية.وجود عدد كبير من الناس في العالم يحبط تحقيق هذه الرغبة، فلن يستطيع الناس جميعا أن تصبح آلهة.لذلك فالآخر عقبة تحول دون تحقيق ذلك

تميزت موضوعات سارتر الدرامية بالتركيز على حالة أقرب إلى المأزق أو الورطة.ومسرحياته "الذباب" "اللامخرج" "المنتصرون" تدور في غرف التعذيب، أو في غرفة في جهنم، أو تحكي عن طاعون مصدره الذباب.وتدور معظمها حول الجهد الذي يبذله المرء ليختار حياته وأسلوبها، كما يرغب، والصراع الذي ينتج من القوى التقليدية في العالم، الذي يوقع البطل في مأزق

ويحاول محاصرته والإيقاع به وتشويهه.إذا كان إدراك الحرية ووعيها هي الخطوة الأولى في تحقيق ذاتية الإنسان، فإن المعايشة واستخدامه لهذه الحرية، وتصرفه بها و التزامه، هو الخطوة الثانية.قبل أن يعي الإنسان حريته ويستثمرها هو عدم، أو مجرد "شيء" أقرب إلى الأشياء، منه إلى الكائن الحي.وبعد أن يعي حريته، يصبح مشروعاً له قيمته المميزة.

فاز سارتر بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٤، ورفض استلامها، بحجه أنها لا تعطى إلا لمصالح سياسية،وأن هدفه من الكتابة، ليس التشريفات الرسمية والجوائز، بل الالتزام الأدبي بحمل مشاكل العصر، وتحمَّل مأساة الجيل بفكره وحسِّه الأخلاقي.له العديد من المواقف السياسية تجاه فيتنام والجزائر،والصراع العربي الإسرائيلي،وله عدة لقاءات مع القادة العرب كجمال عبد الناصر،شاعت شهرته عند القوميين العرب، إلى درجة مراسلته لحل مشاكلهم. بعد الحرب أصبح رائد مجموعة من المثقفين في فرنسا.

الفصل الأول

تعريف الوجودية ومرجعيتها

التمييز بين الوجود والماهية، و لأي منهما الأصالة، هو أساس الفكر الفلسفي منذ نشأته، و من أقدم المسائل التي درستها الفلسفة. قد أعيد طرح مناقشته بين فلاسفة العصر الحديث، نادى به كل من يرغبون، في تحرير الإنسان من كل قيد.تعني كلمة موجود:أن شيئا ما تحقق كيانه ووجوده، فأصبح واقع بالتشخص والفردية في الزمان والمكان والكيف، فثبوت كل موجود أمر واقع يقر به الجميع، لا يستطيع أحد نفيه، أما الماهية، فهي ما يخص كل شيء من صفاته الذاتية التي ينفرد بها، عن غير من الأشياء، تعطي المفهوم الكلي والمجرد الثابت للأشياء، من حيث الجنس والنوع والفصل والخاصة، بما يسهل التفكير المنطقي، من خلال التحليل والتركيب، أكثر من الوجود، الذي هو عرض لازم، قابل للتغير، بما نبه الفلاسفة القدماء بقيمة الماهية، أنها الحقيقة على حساب الوجود الغير حقيقي.بدل هذا الطرح فلاسفة الوجودية، بإعلائهم شأن الموجود العيني الجزئي، في مقابل الماهية المجردة الكلية، وقد وجدوا فيما بعد، أن لفظ الوجود فيه الكثير من الغموض، الذي وجده من قبل الفلاسفة القدماء، من حيث التواطؤ أو التشكيك أو الاشتراك.

المبحث الأول

معنى الوجودية:

الوجودية:مذهب يرمي إلى إبراز قيمة وجود الفرد، على هذا الوجود تقوم الحرية المطلقة، وبه يستطيع الإنسان أن يتخذ موقفا معينا تحقيقا لوجوده الكامل[١]فهي منهج فلسفي يؤيد الحرية التامة في التفكير للإنسان دون قيود، وأنه صاحب إرادة واختيار، لا يحتاج إلى موجه، يملي عليه اختياراته، يصنع فيها الإنسان قيمه بنفسه. صرح سارتر أن كلمة الوجودية تشعب معناها، فأصبحت تطلق بغير ضابط على أمور كثيرة أفقدها معناها، فلم تعد تعني شيئا، هي جملة من الأفكار المتباينة، لم تستطع حتى الآن، أن تأخذ مكانها بين الاتجاهات والأفكار.

الوُجُودِيَّةُ(بالمعنى الأَعم):فلسفةٌ تَرَى أَنَّ الوُجُودَ سابقٌ على الماهيَّة.و(بالمعنى الأَخص):يذهب سارتر إلى أَنها تقوم على الحرّيَّة المطلقة، التي تمكّن الفردَ من أَن يَصنعَ نفسَهُ، ويَتّخِذَ موقفَهُ كما يبدو له، تحقيقًا لوجوده الكامل[٢]

كلمة وجود في اللغة العربية:مصدر وجد يجد، ووجد، يراد بها كلّ ما هو موجود، أو يمكن أن يوجد، كَوْنُ الشَّيء واقعًا وهو نوعان:ذهنيٌّ وخارجيّ(الوُجُودُ:ضِدّ العَدَم، وهو ذِهني وخارجيّ)[٣]

وفي الفلسفة، الوجود:هو تعين الذات وتحققها في الخارج. تحول الأشياء من القوة إلى الفعل، من الإمكان إلى الوجوب(الموجود في الفلسفة الثابت في الذهن والخارج)[٤] وعند المتصوفة الوجود المطلق هو الله جل وعلا(أوجد الله الشيء،

---

(١) المعجم الوجيز:ص٦٦١، وزارة التربية والتعليم ٢٠٠٤

(٢) معجم المعاني الجامع:مادة وجودية

(٣) المعجم الوجيز: ص٦٦١

(٤) المصدر نفسه : ص٦٦٠

أنشأه من غير مثال)[١]. يستخدم الغرب كلمة الوجود :Existence المشتقة لغويا من الفعل يوجد

(Ex-sist أو Exist المشتق من الفعل اللاتينيEx-sister) ، يعني في الأصل يبرز Standout أو ينبثق emerge .فعل يوجد عند الغرب له إيحاءان:

الأول:إيحاء أكثر إيجابية، فمعنى يوجد الشيء "يبرز" أو ينبثق من خلفية معينة، بوصفه شيئا موجودا هناك وجودا حقيقيا.ولو وضعنا هذه الفكرة في صيغة فلسفية أكثر لقلنا:إن معنى "يوجد" الشيء هو "ينبثق" من العدم.

والثاني:الإيحاء الأكثر سلبية في الوقت الحالي، أن المعنى الذي تفهم به كلمة "يوجد" أقرب بكثير إلى "ملقى به حولنا في مكان ما" بدلا من "يبرز"(فالقول بأن شيئا ما موجود يعني، أننا سوف نلتقي به مصادفة، في مكان ما من العالم)[٢]و يقصد بتعبير في "مكان ما من العالم" عند الغرب (أن كلمة "يوجد" تدل على أن للشيء مكانا وزمانا في العالم الفعلي.Realغير أن هناك فلاسفة قد وجدوا من الضروري أحيانا، أن يقولوا لسبب أو لآخر، بأن العالم نفسه "موجود" وأنه ليس وهما، أو مظهرا محضا، لكنه عالم حقيقي)[٣]

الفرق بين وجود العالم ككل، ووجود أشياء العالم، (وجود العالم لابد أن يكون مختلفا أتم الاختلاف، عن وجود الأشياء الجزئية، أو جود الحيوانات، أو وجود الأشخاص، ما دام من المفهوم ضمنا، بالنسبة إلى هذا اللون الأخير من الوجود، أن الموجود الذي نتحدث عنه حادث في العالم) [٤]الوجود الإنساني"وعلاقته بالعالم". تهتم به الفلسفة الوجودية في المقام الأول، يقابل

(١) المصدر نفسه : ص٦٦٠
(٢) الوجودية:جون ماكوري، أمام عبد الفتاح أمام ص٧٠، دار المعرفة ١٩٨٢
(٣) المصدر نفسه : ص٧٠
(٤) المصدر نفسه : ص٧٢

الوجود الإنساني، الوجود الموضوعي أي وجود عالم الأشياء، تعتبر الأشياء عند الوجودية مجرد أدوات فقط تستخدمها الذات الإنسانية لتحقيق الاهداف.الوجود والعدم، والمخاطر والتهديد المستمر للوجود، يجعل الانسان يشعر بالعدم، فالعدم عنصر أصيل في الوجود، يكشف عن نفسه في حالة القلق عند الانسان.

تدرس الوجودية موضوعات، مسلمة لعلم النفس، موضوعات لم يتناولها الفلاسفة الأوائل، كطرح الحياة العاطفية للإنسان، والمشاعر والأحاسيس للذات الإنسانية، ومشاكل الوجود الإنساني من موت وحياة ومسؤولية.كانت الفلسفة مقتصرة على الموضوعات العقلية الخاصة، كمبحث الوجود، والمعرفة، والقيم، معتبرة العواطف والمشاعر، وما يطرأ عليها من تقلبات، دراسة لا تخص الفيلسوف، بل عقبة في طريق الوصول إلى المعرفة.ربط الوجوديون بين الإنسان وحالاته النفسية المتغيرة بالعالم، لمعرفة أمور يتعذر على الإنسان معرفتها، عن طريق التصور العقلي وحده(لقد زودنا الوجوديون، من كيركجور إلى هيدجر وسارتر، بتحليلات مشرقة، لحالات وجدانية:كالقلق، والغثيان، وحاولوا أن يبينوا، أن مثل هذه الحالات، ليست غير مغزى فلسفي)[1]

الوجود موضوع أساس من موضوعات الفكر، التي حاول الإنسان، وما زال يحاول كشف حقيقته، لأنه مصدر من مصادر المعرفة، لازم للإنسان في الحياة. يقترن البحث في الوجود، مع البحث في المعرفة. الوجود هو التعين والحصول في الواقع، هو حضور الشيء مشخصا ومجسما في العالم المحسوس، وقتا من الزمن في مكان ما.

طرح سارتر لفظ "الوجودية " للتعبير عن الحرية المطلقة، محاولا(تأسيس انطولجيا

(١) المصدر نفسه: ص٢٠

فينومنولوجية.لذلك ينطلق من السؤال عن الكينونة، مميزا الوجود في ذاته، باعتباره كينونة الأشياء مستقلة عن الوعي، والوجود لذاته باعتباره كينونة الإنسان محددة بالوعي)[١].فتعامل الفلسفة الوجودية مع الإنسان نفسه، الذات الفاعلة، وليس المفكرة، التي تمد الفلسفة بالموضوعات الأساس، مثل: الاغتراب، والقلق، واليأس، والموت، موضوعات لم تناقش، إلا من قبل علم النفس، بعدما ركزت الفلسفة الأوربية، منذ ديكارت على الذات الداخلية "الذات المفكرة" فتغير الشعار من أنا أفكر، إذا أنا موجود، إلى أنا موجود، إذا أنا حر

الإنسان في حالة الوجد أو الجذب يتجاوز ذاته.لا يقصر الوجوديون حالة "الوجد" على الخبرات النادرة كحالة الكشف الصوفي، بل"ينجذب" الإنسان، ويكون في حالة وجد، في قلب وجوده ذاته. بأن يتعالى الإنسان في وجوده، ومعني تعالي الموجود البشري عند سارتر:(أن الإنسان في أية لحظة، يجاوز أو يعلو على ما هو عليه، في تلك اللحظة ذاتها.ومن ثم فالخاصية الأساسية الأولى للوجود البشري هي طابعه الهلامي، الانبثاقي، المتعالي، الذي ينجذب دائما نحو وجود آخر)[٢]

يمكن أن توصف الأشياء الموجودة في العالم، بصفات محددة وثابتة، مثل المعادن، أما الإنسان فلا توجد مجموعة من الصفات تحدد وجوده، لأنه يلقي بنفسه باستمرار في ممكنات الوجود العيني(وقد يصدق ذلك على الحيوان والنبات، لأن وضع الكائنات الحية الأنطولوجي، هو وضع وسط بين الوجود البشري والأشياء الجامدة، كالجبال والصخور.ومع ذلك، فإن

(١) أطلس الفلسفة:بيتر كوزمان، بيتربوركارد، ترجمة جورج كتورة، ص٢٠٣، المكتبة الشرقية ١٩٩١

(٢) الوجودية:جون ماكوري، ص٧٩

الإنسان يبدو حتى على المستوى البيولوجي متسما بلون فريد من الانفتاح، وإمكانات العلو خاص به)[1]

فلسفة الوجودية صنفان

يفرق سارتر بين:صنفين من فلاسفة الوجودية، بين وجودية مقيدة ترتبط بعقيدة ما، وبين وجودية حرة تحررت من كل المعتقدات الموروثة

الصنف الأول:الوجوديون المسيحيون، (وعلى رأسهم جابرييل مارسيل، ويسبرز ، والاثنان مسيحيان كاثوليكيان مخلصان لكاثوليكيتهما)

والصنف الثاني:الوجوديون الملحدون، ويعلن سارتر نفسه منهم (وعلى رأسهم هيدجر والوجوديون الفرنسيون وأنا)

المدرسة الملحدة في الفلسفة الوجودية، تشمل عدد كبير من الفلاسفة، كلهم ينكرون وجود الله، وكل القيم و الماهيات، التي تسبق وجود الإنسان، فالإنسان حر فيما يفكر أو يفعل(الوجوديون عموماً، سواء الدينين أو الملحدين يؤمنون جميعا، أن الوجود سابق على الماهية، أو أن الذاتية تبدأ أولا)[2]والاختلاف بين الوجودية الإلحادية و الوجودية المسيحية، أن الوجودية المسيحية تفرض وجود إله خالق، قدر للإنسان أشياء معينه، والإنسان يختار في ذلك الخير، والوجودية الملحدة تبني فلسفتها على عدم وجود الإله(إن قوانين النزاهة والتقدم والإنسانية تظل كما هي، أما فكرة وجود الله فهي فكرة قد بليت وماتت من تلقاء نفسها)[3]

يصرح سارتر بأنه ينتمي للوجودية الملحدة، و أن وجوديته لا علاقة لها بالإيمان بالله من عدمه، ولو كان مؤمنا لما تغيرت رؤيته، ففلسفته لا علاقة لها

(١) المصدر نفسه : ص٨٠

(٢) الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ترجمة عبد المنعم الحفني، ص٥، ط١، الدار المصرية ١٩٦٤

(٣) المصدر نفسه:ص٢٤

بالإلحاد، إلا أنها لا تقوم على غير الإلحاد.يسعي فيها الإنسان وراء تحقيق القيم الإنسانية في العالم، بل إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو أن الإنسان هو الخالق الوحيد لمعنى القيم في العالم(الإنسان محتاج أن يجد نفسه من جديد، ولأن يفهم أن لا شيء يمكن أن ينقذه من نفسه، ولا لو برهن على أن الله موجود)[١]

الوجودية مذهب غير متدين، الإنسان في الوجودية متروك لذاته، يخلق ويحقق في عالمه ما يستطيع من القيم، وبرفض سارتر لأي مطلب ديني(فقد يبدو أننا قد وصلنا إلى الوجودية، في أنقى صورها)[٢]لأنه حقق الاستقلال التام، والمسؤولية الكاملة للفرد.جميعهم ينكرون وجود الله، حيث اعتبروه عاجزا عن حل مشاكلهم، واعتبروا الإنسان خالقا لذاته.

الأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية

١- تدرج الفكر الوجودي، وأخذ يتشكل حتى أصبح في القرن العشرين، من ظواهر الفكر الرئيسة في الفلسفة، والأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية، هو التطرف في جميع أمور الحياة، في الدين والفكر والأخلاق والسياسة والاقتصاد. ظهر الفكر الوجودي في العصر الحديث، بعدما شعر الإنسان بالخيبة والضياع، التي جلبتهما الحروب المدمرة:خصوصاً الحرب العالمية الثانية، التي ذاق الإنسان ويلاتها، حيث دمرت المدن، ومزقت الأسر، وألقت بالآلاف في لهيب الدمار والموت، فالحرب هي(السبب الذي من أجله ازدهرت الوجودية، في تلك البلاد التي تقوضت فيها البنية الاجتماعية، وانقلبت رأسا على عقب، وأعيد فيها تقويم القيم كلها من جديد)[٣]

(١) الوجودية مصدر إنساني:سارتر، ص٦٧
(٢) الوجودية : جون ماكوري، ص٢٤
(٣) المصدر نفسه : ص ٦٧

٢- الفلسفة الوجودية نشأت كرد فعل لسيطرة الفلسفة التقليدية المثالية، ومبادئ الدين المسيحي والقيم الاجتماعية على الإنسان، و حرمانه من حريته الحقيقية، من قبل أن يلقى به في هذا العالم(حسب أراء الوجوديين)، لم تتطور هذه الفلسفات مع تطور الحياة، و تقدم حلولا لقضايا العصر، بل ظلت تزحف ببطء بمحاولات عقيمة، ليس لها نهاية ولا فائدة.

٣- رفض فلاسفة الغرب النظر المجرد والفلسفة التقليدية،وتحول فكرهم وبحثهم إلى الإنسان نفسه، وكيف يحقق ذاته ويحدد مصيره بنفسه؟. نقض فلاسفة الوجودية استغراق الفلسفة التقليدية في التصورات العقلية،وعلى رأسهم جان بول سارتر أول من أطلق مسمى (الوجودية)على فلسفته،قدم أفكاره الفلسفية من خلال الدراما المسرحية،والرواية الأدبية، فذاع صيته،وخلد اسمه مع أهم فلاسفة العصر الحديث. أعطى الوجوديون الأولوية لوجود الذات على الماهية، فالإنسان يمتلك الحرية المطلقة في التفكير والتطبيق، وتكوين شخصيته بنفسه، تركوا الأفكار المثالية المتوارثة من الفلسفات القديمة والقيم الأخلاقية الثابتة، واعتبروها تعيق حرية الفكر والاختيار.

٤- دفعت الاكتشافات العلمية في العصر الحديث، والثورة الصناعية والسياسية والاقتصادية، الإنسان للشك في هذه القيم والمبادئ المتوارثة من المدارس الفكرية القديمة، والعقائد الدينية، التي لم تقدم لهم حلا لمشاكلهم في الحياة. بنى الوجوديون منهجهم على أساس امتلاكهم الحرية، وفكرهم بعيد عن أي تأثرمن الدين أو الفلسفة السابقة. تقبلت المجتمعات هذه الفلسفات، هربا من جمود الفكر القديم، الذي لم يجدوا فيه الحل المناسب لمشاكلهم.

٥- المكر اليهودي الحاقد على الجميع، المتطلع إلي امتلاك الأرض ومن عليها، لتنفيذ أهدافهم الدينية، للعودة إلى أرض الميعاد، وأهدافهم السياسية بتحقيق حكومة العالم، له دوره في قيام الوجودية؛استغلوا التغيرات الطارئة على

المجتمع الأوربي، نتيجة الحرب في الدين والسياسة والاقتصاد، وتبنوا كل ما هو شاذ، سواء في الدين أو الفكر أو الأخلاق.

- ظهرت الوجودية رد فعل، لتطرف في المجتمع تمثله الماركسية، بما أحطت من قيمة الإنسان، وجعلته قطعة في الآلة الكبيرة، التي هي المجتمع الذي رفعت من قدره؛وحرمت الفرد من أي قيمة.

- ورد فعل لتطرف في الدين، يمثله الطغيان الكنسي، وتحكم الباباوات في شؤون الناس، وفرض الآراء التي لا تتفق مع العقل والفطرة، وادعاؤهم أن تلك الآراء هي الدين. فهي رفض للفكر الديني الأوغسطيني القائل بأسبقية الخطيئة على وجود الإنسان في المسيحية، أسبقية جبرية تنفي عن الإنسان الحرية، وتلغِي المسؤولية الفردية، تنزع عن الإنسان ذاتيته وقيمته في الوجود، فأعلن نيتشه موت الإله، أي موت الشريعة المسيحية، وأسس للشخصية الفردية، وأعلى من قيمة الإنسان، من حيث هو فرد يمتلك حريته ويتميز بالذاتية، فنحن أفراد ذاتيون، ولسنا أشياء.

- ورد فعل لتطرف في الأخلاق، وانهيار القيم على يد فرويد، ونظريته في التحليل النفسي اللاشعوري، تغيرت نظرة الإنسان الغربي تجاه جسده وذاته. و مع سقوط سلطة العقل في الغرب، إثر ظهور الاتجاهات المناقضة للنزعة العقلية، وظهور المدرسة الظاهراتية في علم النفس، وابتكار المنهج الفينومينولوجي على يد أدموند هوسرل، زاد الإحساس باللامعقول، والعبث، وانتفاء المعنى، ظهرالفكرالوجودي، في ميدان الأدب و الفن التشكيلي، تحت مظلة الانطباعية.

المرجع الفكري للوجودية

يرجع أساس الفكر الوجودي، بعرض فلاسفة اليونان السؤال عن طبيعة العالم، هل هو مستقر أو متغير؟و الجدل الذي دار حول هذه الفكرة، بين الفلاسفة في ذلك الوقت بين استقرار العالم، أوعدم ثباته وتغيره المستمر.

هيرقليطس(٥٥٠-٤٨٠ ق م):يرى أن الكينونة خيال فارغ، ويتصور العالم في تغير مستمر، لا شيء يبقى على حاله، عبر عنه بصيرورة المادة، و التغيير الدائم الذي تخضع له الأشياء جميعا في العالم. حالات خاصة لا مفاهيم عامة، تتكون من تبادل الأضداد، التي تخضع له جميع الأشياء، وأكد على أن كل شيء يتحول بقوله المشهور(لا تستطيع أن تضع رجلك في نفس النهر مرتين) فكل شيء يتدفق، لا شيء يبقى على حاله، لأنك عندما تعود مرة أخرى، فقد استغرقت وقتا، تغير وضع النهر فيه، وأتى بماء جديد، لأن العالم دائم التغير غير مستقر، تتحول البرودة إلى الحرارة والحرارة إلى برودة، والرطوبة إلى جفاف، والجفاف إلى رطوبة(فلا يمكن تصور شيء دون تصور نقيضه)[١]

بارمينـدس (٥٤٠-٤٧٠ق م):خالف هرقليطس، وفسر وجود العالم كوحدة واحدة غير متجزئة، مستقرة غير متغيرة، ثابتة و مستمرة. اعتبر أن ما يراه الإنسان في الحياة اليومية، من تغير دائم، هو إدراك حسي خداع(من هنا كان التمييز الصارم بين الإدراك الحسي والمعرفة العقلية، أن المعرفة الحق هي معرفة الوجود الواحد غير القابل للتحول والفناء "إن الوجود والفكر هما أمر واحد")[٢]

أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق م):وفق بنظرية المُثل بين فكرة استقرار العالم لدى بارمينـدس، وتغيره لدى هيرقليطس، فقسم الوجود إلى:عالم المثل الحقيقي الكلي

(١) أطلس الفلسفة:بيتر كوزمان، بيتربوركارد، ص٣٣
(٢) المصدر نفسه: ص٣٣

الثابت الذي لا يتغير، عالم الخلود، و العالم المادي المحسوس المرئي الجزئي المتغير(يقوم مضمون نظرية المثل على، فرضية وجود عالم ماهيات لا مادية أزلية، لا يخضع للتغير)[1]تكون المثل نماذج غير مادية للواقع، تبعا لها تتشكل الأشياء في العالم المحسوس.الموجودات الحسية تقع تحت عالم المثل، في الحالة الأخلاقية، وبالنسبة للوجود، لا وجود للمحسوس إلا بالمشاركة أو المحاكاة، مع عالم الوجود الأصيل، عالم المثل.

أرسطو (٣٨٤-٣٢٤ ق م):تجاوز ثنائية أفلاطون الفكرة(المثال)و الواقع المادي، بثنائية المادة والصورة، لتأليف الصيرورة.أقر أرسطو بأن ماهية الشيء هي في ذاته، توجد في المادة والصورة، تندمج في الشيء الصورة والمادة.فسرأرسطو وجود العالم بالعلة الغائية، و وجود الشيء حسب جوهره وأهميته و الغاية من وجوده، رتب الموجودات في العالم من الجماد، ثم ارتقى إلى الأحياء، من الأدنى إلى الأعلى، ترتيبا تصاعديا.والإله صورة خالصة، مفكر محض، لا يتدخل في العالم، والموجودات مادة وصورة، ترغب في التخلص من حالة التركيب المادي إلي البساطة، أو الصورة المحضة الخالية من المادة، لتسمو إلى الجوهر الحقيقي إلى الله واجب الوجود بذاته(فوق الحامل، المادة تنطبع الصورة، صورة الشيء. وفي المادة لا تكون ماهية الشيء إلا محض إمكانية، ولا يكتسب الشيء حقيقته و راهنيته إلا عبر الصورة.إن ماهية الأشياء لا تكون ماثلة في فكرة متعالية عنها، بل هي تتحقق بحسب تراتب ظهورها.إن هذا التحقق هو ما يسميه أرسطو الكمال)[2]

وأفلوطين(٢٠٤-٢٧٠):قسم الموجودات من خلال نظرية الفيض، إلى ثلاثة:الموجود

(١) المصدر نفسه: ص٣٩

(٢) المصدرنفسه: ص٤٩

الأول الواحد، الذي يصدر عنه العقل الكلي (الموجود الثاني)ومن العقلي الكلي تصدر النفس الكلية(الموجود الثالث)ثم تصدر النفوس الجزئية في العالم المحسوس.لا وجود للصورة في المرآة، قبل وجود الشيء أمامها، ولا يوجد شعاع الضوء بدون وجود الشمس، فلا وجود للفرع دون وجود الأصل(الواحد هذا هو ما يسميه أفلوطين بالخير، هو وحدة مطلقة وكمال مطلق، ومنه تنبثق كل الموجودات، وأيضا كل كمال، ولا وجود لموجود، ما لم يكن له ارتباط بالواحد)[1]

أهم مبادئ الفلسفة الوجودية:

١ - الوجود أسبق من الماهية، فليس للإنسان طبيعة يمكن أن تحدد حقيقته، وماذا يجب عليه أن يفعل، بل يجب على كل فرد تحديد ذاته من وقت لأخر، وأن يسخر كل الطاقات والإمكانات لصالح تحقيق الذات الفردية. يوجد الانسان أولا، ثم يكتسب مميزاته، وصفاته بعد ذلك، فالانسان ليس موجودا مكتملا، بل هو اتجاه ونزوع ومشروع، في تغير مستمر، يسميه فلاسفة الوجودية بالتعالي.

٢- تقديس الحرية، بدون الحرية يفقد الوجود معناه. وجود الإنسان الحقيقة الوحيدة في العالم، وكل إنسان له الحق في تحديد قيمه في الحياة بنفسه، فالفرد أفضل من المجتمع، يجب التركيز على أهدافه أولا. يخلق الإنسان وحده ذاته بمطلق الحرية، ومن ثم يتصل بالعالم من حوله.حرية الإنسان مطلقة، لا حدود لها.بدونها الإنسان كالعدم، وإذا لم يزاول الإنسان حريته ويستثمرها، فهو عدم، و أقرب إلى الأشياء، منه ككائن حي. عندما يمارس الإنسان حريته، يصير مشروعاً له قيمة.الإنسان حر مختار، يختار ما يمكن تحقيقه، من بين

(١) المصدر نفسه: ص٦٣

سائر الممكنات المتاحة لديه، وعندما يختاريخاطر، لأنه معرض للنجاح والاخفاق.

٣ - التخلص من القيم القديمة مهما كانت، مثل:الدين والأخلاق والقيم الاجتماعية، مما يحفز الإنسان، للبحث عن الجديد، وعدم محاكاة الآخرين، واختيار وجوده وشخصيته، مسئول عن هذا الاختيار لأخذ قراراته.وجود الإنسان عند فلاسفة الوجودية هو ذاته و أهم صفاته، أساسه وجوهره، غير مسبوق بغاية فرضت عليه، ولا هدف أمر به، وطلب منه تحقيقه.الإنسان وجد ليحدد أهدافه بنفسه، فلم يفرض عليه من إله أو طبيعة أو سلطان مهما كان، هدف أو غاية. والقيم غير مطلقة وغير محددة بمعايير خارجية، نسبية لكل إنسان، تتوقف على ظروفه، وتتحدد باختياره الحر، قضية شخصية فردية، تتطور من خلال ممارسة الإنسان لحريته.

٤- حماية الإنسان و رغباته للاستمتاع بالوجود، كالقضاء على الشعور بالخيبة والقلق في العالم، والتشجيع على الاستمرار في الحياة، والشعور بالسعادة، والاستمتاع بفرصة امتلاك الحياة والحرية لتحقيقها.

٥ - العقل لا يوصل إلى معرفة حقيقية، لا تأتي المعرفة إلا عن طريق ممارسة الواقع.الإنسان هو مجموع أفعاله وتصرفاته، مسئول عنها لأنه حر، يستطيع أن يختار ما يريد من أفعال، هو ليس جزء من أي نظام كوني.هو حر من القيود الاجتماعية غير خاضع لأي قوة من قوى المجتمع.المعرفة عملية معاصرة للوجود، وكون الإنسان حراً، فهو على علاقة بالمعرفة، علاقة مع الحقيقة.هو إنساني لأن العالم نفسه عالم إنساني، ولأن الوجود لذاته يخلق هذا العالم.

المبحث الثاني

تأثر سارتر بالفلاسفة

تجنب سارتر الفلسفة التجريبية التي قصرت المعرفة على الحواس الخمس، لا تزيد الإنسان معرفة، على ما يرى أو يسمع أو يشم أو يلمس، واقترب من فلاسفة العصر الحديث، وفلسفة الغرب التقليدية، فأسس فلسفته على أفكارهم الفلسفية، واستمد منهم فكره الوجودي.مثل رينيه ديكارت، وكارل ماركس، وكيركجارد، و نيتشه.مع خبرته الأكاديمية، ومؤلفاته الأدبية، ومقالاته السياسية، هي حصيلة الفكر الفلسفي الوجودي عند سارتر

رينيه ديكارت (١٥٩٦- ١٦٥٠م)

الكوجيتو الديكارتي:قول ديكارت:"أنا أفكر، إذن أنا موجود". بنى ديكارت على هذا المبدأ أفكاره، فقال:مادمت أشك، فأنا أفكر، ولا يفكر إلا الموجود، إذا أنا موجود، في عالم محيط بي، أحس به.أقام ديكارت فلسفته على الوجود، فقسم العالم إلى:عالم المادة وعالم الفكر والعقل، لإثبات وجود الله، ليعلن أنه يستطيع أن يشك في الحس، ولا يستطيع أن يشك في بديهية العقل، فهو موجود، مادام يفكر، موجود باعتباره مفكراً، لا باعتباره جسما، والذي أوجدني، موجود أكبر وأعظم مني ومن العالم، وضع بداخلي هذه الفكرة، ليعلمني أنه موجود(فارتيابي وشكي العميق، هو نفسه ضرب من التفكير، يبرهن على وجودي.غير أن الفيلسوف الوجودي، ينتقد هذه الحجة الكلاسيكية، ويصفها بأنها مجردة، فأنا لست أساسا ذاتا مفكرة، ولكني أولا، وقبل كل شيء موجود، المعرفة والفهم والوجود، هو شيء أوسع بكثير من التفكير، وأسبق منه.يميل الفيلسوف الوجودي إلى، قلب هذه الحجة رأسا على عقب، بحيث يقول:أنا موجود، إذا أنا أفكر.لكن ما الذي

يعنيه بقوله:"أنا موجود"؟إنه يعني أنني موجود، على نحو، أستطيع معه، أن أتجاوز ذاتي)[1]

تأثر سارتر بقول ديكارت:"أنا أفكر، إذن أنا موجود"، و بنى أفكاره بالتأكيد المطلق على الوعي بالنفس، وأن الشعور بالوجود سابق على التأمل، و يقررأن الكوجيتو ليس بوصف الإنسان كائن مفكر فحسب، بل بوصفه متجسدا، دائم الشعور بالوجود.قسم سارتر العالم إلى قسمين:

-عالم الكينونة في ذاتها، وهو العالم المادي الساكن القائم في الخارج، خارج الوعي

- وعالم الكينونة لذاتها، عالم الوعي والاختيار الحر، فرق بين الشيء في ذاته، والوعي الإنساني.

تنطلق وجودية سارتر من الذاتية، لا توجد حقيقة سوى حقيقة الكوجيتو المطلقة للشعور، وهو يعي ذاته.كل نظرية تبدأ بالإنسان خارج لحظة وعيه بذاته، هي نظرية تخفي الحقيقة؛لا حقيقة خارج الكوجيتو،أن يدرك الإنسان ذاته إدراكا مباشرا بالحرية، وذاتية الفرد.رفض سارتر أي فكرة أو ماهية، مفروضة على الإنسان من الخارج سواء منحها المجتمع،أو منحها الإله،فوجود البشر سابق على الماهية، والمبدأ الأول للوجودية، الوجود العيني للإنسان، له مطلق الحرية، والإرادة، والاختيار.

سورين كيركجارد (١٨١٣ – ١٨٥٥)

القفزة الإيمانية:يعتبر كيركجارد المؤسس الحقيقي للفكر الوجودي، بعد إقراره بأسبقية الوجود على الماهية، ووضع الجانب العاطفي والوجداني للإنسان في الاعتبار، فخص الإنسان وأموره العاطفية بالبحث والدراسة.وأكد على أن الوصول إلي اليقين لا يأتي بالبرهان، بل بالتجارب، فلا يوجد قاعدة أخلاقية

(١) المصدر نفسه :ص١٤١

ثابتة، تلزم الإنسان، بما يجب عليه أن يفعل، فقد يعطل القانون الأخلاقي، من أجل تنفيذ أمرا من أوامر الله، كما حدث مع أمر نبي الله إبراهيم "عليه السلام "بذبح ابنه إذ يقول:(يبدأ الإيمان حينما ننحي عمل الفكر جانبا، بحيث نفند كل ما له علاقة بالمعقولية، والاستدلال البرهاني المنطقي، لهذا يكون الإيمان وثبة مهيبة، بحيث أنها تقتدر، على جعل عملية القتل عملية مبجلة ومقدسة، من خلالها نرضي الحضرة الإلهية، إنّها وثبة بإمكانها إرجاع الابن إسحاق[إسماعيل] إلى أبيه إبراهيم)[1]

بدل كيركجارد الخبرات العقلية بالخبرات العاطفية، واهتم بالذات الفردية الخاصة، التي تميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات.آمن بالأفكار الفردية الحرة، والتحرر من المعتقدات الموروثة، وأعطى الفرد الحق في بناء أفكاره ومعتقداته، وأن الذي يحتاجه حقا، أن يصبح واضحا في فكره، يعلم ما الذي يجب عليه فعله، و يجد السبب الذي من أجله ولد، ومن أجله يموت.

رفض كيركجارد دور العقل في المعرفة اليقينية، بما يراه البعض، أنه ضحى بالعقل من أجل الإيمان، فتجنب الأدلة العقلية أو الحسية للإيمان بالله، و بني الإيمان الصحيح على العاطفة، وليس العقل، الذي يبعد الإنسان دائما عن الإيمان، حتى لو أثبته أحيانا. لا تفيد التعاليم، ما لم تعمل على زيادة الحياة الإيمانية لدى الشخص، عن طريق المواجهة المباشرة، والتحدث مع الله، ليستمد منه الحقيقة، حيث يستند الإنسان إلى القوة التي أوجدته، محددا مختلف مراحل الوجود، في هذه المراحل:

(١) خوف ورعد:سورن كيركجارد، ترجمة فؤاد كامل، ص٧٣، ط١، دارالثقافة للنشر، القاهرة١٩٨٤

- تتقدم الذات الإنسانية، بالانتقال من المرحلة الحسية الجمالية، التي لم يختر لنفسه كيانا، أو يكون لنفسه ذات، يعيش في الخارج الحسي يتذوق الحياة، ويمثل لها بدون جوان.

- وفي المرحلة الأخلاقية، قد اختار لنفسه ذاتا، وكون كيانا، فالوجود الأخلاقي ذات فاعلة مختارة، تأخذ الحياة بجدية، لكنها تكتشف إمكانية الوقوع في الخطأ، لأنها لا تمتلك شروط حياة أخلاقية مثالية، لأن فكرة الخطيئة تسيطر عليها، فيقودها ذلك.

- إلى المرحلة الدينية، يعرف فيها الإنسان نفسه بالخاطئ، وليس في استطاعته بمفرده التحرر من الخطيئة، فالله وحده هو الذي يمكن له العبور إلى الحقيقة(فإن ذلك يعتبر برهانا، على عدم قدرة الإنسان، على أن يصل بمفرده إلى الحقيقة، بل عليه أن يتلقى شرط ذلك من الله، فالإيمان يؤسس الإنسان) [١]

لم يضع كيركجارد هذه المراحل في قوالب عقلية، أو يفرضها بطريقة منطقية

، فالمسيحية فيها من المفارقات ما يتطلب قفزة نحو الإيمان، يوضحها كيركجارد من خلال التكرار، برسم خريطة للطرق الخفية، التي تفرضها المعاناة ذاتيا، ويقترح مسارات للنجاة(فالتكرار هو التجلي، الذي يمنح في بعض الأحيان القديم ثانية، على أنه جديد، ويمنح في أحيان أخري شيئا جديدا بشكل جذري)[٢]ويستدعي بالتكرار عظمة نبي الله أيوب "عليه السلام"، لطرد اليأس من حياته، والخروج من الأزمات، و الاستقواء على مصائب الحياة، فشغف نبي الله أيوب "عليه السلام" بالحرية(لم يقمع، أو يخمد، أو يتراجع، أمام التعابير

(١) أطلس الفلسفة : بيتر كوزمان، بيتربوركارد، ص ١٦٣

(٢) التكرار :سورن كيركجارد، ترجمة :مجاهد عبد المنعم محاهد، ص٨، ط١ دارللكلمة للنشر ٢٠١٣

الخاطئة.وغالبا ما تقمع هذه العاطفة، في الشخص في ظروف مماثلة، عندما يسمح للجبن أو القلق التافه، بأن يجعله يعتقد، أنه يعاني بسبب خطاياه)[1](فمن منظور الحرية، لا يزال لديه شيء من العظمة، لديه الوعي، بأنه حتى الله –برغم أنه من أعطى ذلك –لا يمكن انتزاعه منه.وعلاوة ذلك، يحتفظ أيوب بدعواه بتلك الطريقة، التي يرى المرء بها الحب والثقة، بأنه واثق أن الله يمكن، أن يفسر كل شيء، إذا أمكن للمرء ببساطة، التحدث معه)[2]

الإيمان المطلق بالله عند كيركجارد، هو الوحيد الذي يمكن الإنسان من التغلب على عدم معقولية الحياة. يمكنه من السيطرة على القلق واليأس والوحدة في هذا العالم. للضمير عند الفلاسفة الوجوديين معنيان، وسبب ذلك أن لفظ الضمير نفسه، يمكن أن يفهم بأكثر من طريقة، فقد يعني الضمير، إدراك الشخص للشريعة الأخلاقية المقبولة في مجتمعه، أو مشاعر الرضا، أو السخط، التي يشعر بها، عندما يخالف القواعد التي تعبر عنها هذه الشريعة، أو يلتزم بها أو يستخدم لضرب من الاقتناع الأخلاقي يؤدي بالشخص أحيانا، إلى رفض المعايير الأخلاقية المقبولة في مجتمعه، استجابة لما يؤمن بأنه أمر أخلاقي، أعمق من هذه المعايير.

ينقض الوجوديون الضمير بالمعنى الأول، و المعنى الثاني وحده هو المعنى المعتبر.عرض كيركجارد المواجهة بين الضميرين، في عرضه قصة إبراهيم واسحق حسب زعم اليهود، بأنه صدر أمر إلهي إلى إبراهيم، بأن يذبح ابنه، كتضحية بشرية، أو ما يسميه كيركجارد "الإيقاف الغائي للأخلاق"، فكان على استعداد أن يخالف مبادئه الأخلاقية ومشاعره الإنسانية، طاعة لأمر الله، وأن يضع الكلي جانبا، أي(المعيار الذي يقبل بصفة عامة لما هو حق، لكي يقوم

(١) المصدر نفسه:ص١٥٥
(٢) المصدر نفسه:ص١٥٧

بتنفيذ الواجب الملقى على عاتقه، هو وحده بوصفه فردا أمام الله. ويمكن أن نقول:إن إبراهيم كان قد أغري بارتكاب جريمة قتل)[١]

هذا الإغراء قد يظهر ليمنع إنسانا ما من تأدية واجبه، و في هذه الحالة، الأخلاق نفسها، هي التي تحاول أن تمنعه من تنفيذ إرادة الله، والواجب هو، التعبير عن إرادة الله، و علي الإنسان ألا ينظر إلى إرادة الله، بوصفها شيئا خارجيا.لقد عزم إبراهيم على التضحية بابنه من أجل الله، وبالتالي من أجل نفسه، أي من أجل أمر واحد(فنحن هنا إزاء صراع الضمائر، أو صراع بين مستويين مختلفين من الضمير، الأول هو الضمير الذي يعكس الأخلاق الكلية، وقد ألغاه الضمير الثاني، الذي هو في آن معا، أمر الله، وأعمق الجوانب الذاتية الجوانية في الفرد)[٢]

فردريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠)

الإنسان الأعلى"السوبر مان"(لقد مات جميع الآلهة، فلم يعد لنا أمل إلا ظهور الإنسان المتفوق)[٣].كل من نيتشه وكيركجارد ذو خلفية دينية، و شخصية رئيسة في نشأة الوجودية، إلا أن حساسية نيتشه وذكاءه الحاد، أدى به إلى الجنون.رغم هذا التشابه، قد ظهرت أغراض الوجودية عند نيتشه، مختلفة أ شد الاختلاف.فقد اهتم كيركجارد بالكيفية التي يصبح بها المرء مسيحيا، انشغل نيتشه بكيفية خروج المرء من المسيحية، فالإيمان المسيحي في نظره انتحار متواصل للعقل يرفضه(ينظر إلى المسيحية على أنها تتضمن التضحية بالروح البشرية، بل وحتى تشويها

(١) الوجودية: جون ماكوري، ص٢٣١

(٢)المصدر نفسه: ص٢٣٢

(٣) هكذا تكلم زرادشت: فردريك نيتشه، ص٦٥، ترجمة فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير الإسكندرية ١٩٣٨

لـهـذه الـروح واستئصالا لحريتها، ولذا فإن علينا أن نجاوز المسيحية، ونضع مكانها نظرية الإنسان الأعلى"Superman"، أي الإنسان الذي يجاوز ذاته و يعلو عليها، وهي نظرية تؤكد العالم والحياة، و بالتالي فهي عكس نظرية المسيحية، التي تدعو إلى نبذ العالم)[١]

يقول نيتشه (إن الرب قد مات)[٢] ويعنى بموت الرب أي فقدان العالم المعنى الكلي، المعنى المطلق والنظام العالمي الواحد، وما يحرر الإنسان، ويعبر به في فلسفته بالعدمية، للتعبير عن عالم عبثي لا معقول، خالي من المعاني وثبوتها، ليس فيه إله، يحكمه قانون العود الأبدي، انتهى به مثل كيركجارد بمفارقة أدت إلى دمار نيتشه نفسه، هي(تمجيد الإرادة، إرادة الإنجاز والانتصار، إرادة أن نقول للحياة:نعم و أمين، مقرونة بعقيدة العود الأبدي الجامدة، و بألوان الفشل والعذاب الكثيرة التي عناها، كانت تسبب لنيتشه في بعض الأحيان، فيما يبدو ألاما ذهنية رهيبة)[٣] هذه الآلام تظهر آلام العصر وقلقه، ذلك القلق المميز للوجودية.افترض نيتشه مفهوم فلسفي عبر عنه بفكرة العَود الأبدي، هي أن الكون كان ولا يزال يكرر نفسه، فقد تصور أن كل شيء سيتكرر ذات يوم، كما عشناه في السابق، هذا التكرار يستمر، في شكل مماثل بلا نهاية.فالتاريخ دوري ليست له بداية محددة، لا يتجه لمصير محدد هادف، بل يدور إلى الأبد، ضمن حلقة مفرغة، تبدأ بالعدم، وتنتهي بالعدم، فالحياة ما هي إلا سباق دائري لا يتجه إلى أي مكان.

يقرر نيتشه أن الصفة أو السمة التي تميز الإنسان هي الذاتية، فإذا لم يكن الإنسان حرا فعلا، يبتكر ما يريد أن يكونه، يختار قيمه بنفسه، فهو ليس إنسانا،

(١) الوجودية: جون ماكوري، ص٦٣
(٢) هكذا تكلم زرادشت: فردريك نيتشه، ص٥
(٣) المصدر نفسه : ص١٥٧

فالناس(يتصورون أنهم عرفوا منذ أمد بعيد ما الخير والشر بالنسبة للإنسان.وبدا لهم كل حديث حول الفضيلة شيئا تافها عفا عليه الزمان، وكل من أراد منهم أن ينام نوما عميقا يتحدث عن الخير والشر قبل النوم، ولكنني قطعت عليهم هذا النوم عندما علمتهم، أن أحدا منهم، لن يعرف الخير والشر ما لم يكن هو نفسه خالقهما)[1]

أدمون هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨م)

الفينومينولوجيا "الظواهر":الظاهرة هي الحوادث الملاحظة بالحس، للوصول إلى

معرفة حقيقة الأشياء.كانت الفلسفة متناولة بين العلم والآداب، جذبها الفكر التحليلي إلى العلم وعلومه الطبيعية، وخصها الفلاسفة المتأملون بالتأويل والشعر والأدب، بحجة أن العلم لا يستخدم في دراسة الظواهر الإنسانية، في العلوم الإنسانية، كعلم النفس والاجتماع، وأن المنهج المناسب هو منهج التأويل، أو التعبير بالوعي و الإدراك والشعور.فالظاهرة هي ما يتبدى أو يظهر أمام كل إنسان، قد يعبر بكلمة الظاهرة عن الظاهر المحض، ويكون معناها، أن ما يبدو بطريقة ما، غير حقيقي، أما الحقيقة الواقعية فتظل مختفية.

المدرسة التجريبية تؤكد أن هناك حقيقة واحدة للأشياء يقررها العلم، يسمى هذا"بالمذهب الاختزالي".لكن فكر هوسرل يرجع إلى المدرسة القارية "الفلسفة المعتمدة على التأويل "المدرسة التأويلية" فتقرر أن الظاهرة ليس لها حقيقة واحدة، بل هناك تأويلات متعددة، لإدراك الماهيات الكامنة خلف الظاهرة.هناك حقائق كثيرة تعبر عنها الظاهرة، على اعتبار قول نيتشه، ليس هناك حقائق ووقائع، بل هناك تأويلات، فمن الخطأ التحدث عن حقيقة واحدة، بل للظاهرة أكثر من حقيقة، كل مؤول ينظر إلى الظاهرة المدروسة من زاوية معينة

(١) الوجودية:جون ماكوري، ص٢٣٣

بدأ هوسرل كما بدأ ديكارت، من "أنا أفكر"، و انفصلا بعد ذلك. فقال ديكارت:"إذا أنا موجود"، وقال هوسرل:"إذا الوعي موجود".الوعي بشيء ما، هذا الشيء الخارجي الذي يمكن أن أعيه، و أعرفه.استبعد منهج (فلسفة الظواهر) دراسة الحقائق في ذاتها، واقتصر على البحث في الأشياء، كما تبدو للإنسان في ظاهرها، معتمدا على تصورات الشعور، والإدراك والذاكرة والخيال، الموجودة في الوعي الإنساني مباشرة.

فلسفة الظواهر لا تستنتج أو تفسر، بل تصف الظاهرة كما تبدو للإنسان، وتتجرد من كل الأفكار المسبقة، يقدم المذهب وصفا تفصيليا لماهية الظاهرة(على نحو ما تعطى للوعي.ولكي نتأكد من دقة الوصف، فلابد للذهن أولا، من أن يتطهر من الافتراضات السابقة، والأحكام المبتسرة) [1]يعلق الحكم للشيء بوضعه بين أقواس، و يتجاوز الفيلسوف العالم الطبيعي، حتى يتوصل بالوعي المطلق إلى تعدد الحقيقة للظاهرة الواحدة.يوجد وعي بشيء بالقلم أو الكتاب، فلا يمكن أن نعي بشيء إلا أن يكون موجودا.البداية هي وجود الشيء، ومن خلال الوعي بالوجود يعمل الإنسان الماهية المناسبة له

هل المعرفة ممكنة ؟كيف الوصول إلى معرفة خالصة ودقيقة؟الشيء موجود أدركته أو لم تدركه، تتعامل مع الظاهرة،على ما هو معطى بطريقة مباشرة، ليس لها علاقة بالعلوم الطبيعية،أو المنهج التجريبي الذي يدعو، إلى النظر إلي طبيعة الأشياء.كيف يتأكد الإنسان أنه استطاع (أن يبعد جميع افتراضاته السابقة حول موضوع ما؟ أو كيف يمكن له أن يكون على يقين من النقطة، التي ينتهي عندها الوصف، ويبدأ معها الاستدلال أو التفسير؟)[2]

(١) الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ص٢٥
(٢) المصدر نفسه:ص٢٦

على سبيل المثال:وجود الشجرة الحقيقي، كما هو في الواقع، لا يراه أحد، يرى الإنسان الشجرة، كما تبدو لعينه، تأخذ الصورة للعقل، فتستقر في الوعي.وعي الإنسان مؤثر في وجود الشجرة، يوجد واقع متعالي عن الواقع الحقيقي، بسبب وعي الإنسان، هذا ما رفضه العلم الطبيعي والمنطق العلمي، وسبب أزمة العلوم الأوربية، وأفاد العلوم الإنسانية، التي جعلت الذات الواعية مؤثرة في فهم العلاقات الإنسانية، وأن الأساس هو البحث في الماهيات الخالصة التي يشكلها الوعي، أما الواقع بذاته، فلا تعامل معه.

تجاوزت فلسفة الوجود عند سارتر" ثنائية كانت "الشيء في ذاته، والشيء في الواقع"وربطت بين الموجودات وبين الوعي، ليصبح البحث في ظواهر الوجود، كما تبدو للذات الإنسانية، هو الأساس في الفلسفة الوجودية(إن ثنائية الوجود والظهور، ليس لها حق المواطن في الفلسفة.والظاهر يحيل إلى السلسلة الكلية للظواهر، لا إلى واقع مختبئ، يجتذب لنفسه كل وجود الموجود)[١]

أسقط سارتر ثنائية القوة والفعل، فكل شيء بالفعل، وليس وراء الفعل قوة، ولا حال، ولا قدرة، وتبنى منهج هوسرل الذي نتج عنه، أن وجود الموجود ما ظهر علي (وماهيته "ظهور"لا يكون بعد مقابلا للوجود، بل يكون مقياس له)[٢] وأقام عليه نظريته في الوجود (سيكون وصف ظاهرة الوجود كما تتجلى، أي دون وسيط)[٣]

إن وجود الإنسان يسبق ماهيته، يكتسب صفاته المميزة من خلال أفعاله، أي أن الإنسان يتميز عن سائر الكائنات، بأنه لا يملك طبيعة جوهرية ثابتة، تشكل على أساسها حياته، وطريقة وجوده، بل يوجد أولا، وتتخذ حياته طابعا معينا،

(١) الوجود والعدم :سارتر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص١٤، دار الآداب بيروت
(٢) المصدر نفسه:ص١٤
(٣) المصدر نفسه:ص١٨

ويظل يكسب صفاته المميزة له، من خلال أفعاله، والطريق الذي اختاره لحياته، ليصنع طبيعته بنفسه(إن الماهية مقطوعة تماما عن التجلي الفردي، الذي يكشف عنها، لأنها من حيث المبدأ:هي ما يمكن أن يتجلى لسلسة لا متناهية من التجليات الفردية)[١](إن الوجود الظاهري يتجلى، ويكشف عن ماهيته وعن وجوده، وهو ليس إلا السلسلة المترابطة المؤلفة من هذه التجليات)[٢]

كارل ماركس(١٨١٨–١٨٨٣)

الطبيعة الإنسانية والحتمية التاريخية :انتقد سارتر في نظرية كارل ماركس عالم الاقتصاد والفيلسوف والسياسي الألماني(خضوع الفرد للهدف الكلي لبناء تاريخي ما قبلي)[٣]محاولا تقويمه، لأنه آمن بالماركسية كنظرية الطبقة العاملة، وفلسفتها في الفعل الثوري، كما هي فلسفة العصر.حاول نفي فكرة الحتمية التاريخية، التي تثبت وجود قوانين موضوعية خارجية تسيّر التاريخ الإنساني، (يجب أن تتكل على عون الآخرين، أي على ما سيفعلونه معاونين لك في كل مكان، مثلا في الصين أو في روسيا، وعلى ما سيفعلونه لك بعد موتك، بأن يأخذوا عملك، ويحملوه قدما حتى نهايته، أي لتحقيقه بالثورة، وعلاوة على ذلك، فالأخلاق تقتضيك أن تتكل عليهم فعلا، وإلا كنت رجلا ضد الأخلاق)[٤]

انتقد سارتر مصادرة الحرية الفردية، داخل النظام البيروقراطي المركسي، وممارساته الاستبدادية في علاقة الدولة مع المواطنين و الدول، و اعتمد على الوعي، والإرادة الإنسانية، والعمل في صنع التاريخ(لا استطيع الاتكال على

(١) المصدر نقسه:ص١٧
(٢) المصدر نفسه:ص١٥
(٣) أطلس الفلسفة:بيتر كوزمان، بيتربوركارد، ص٢٠٤
(٤) الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ص٣٦

أناس لا اعرفهم، ولا استطيع أن تكون كل ذخيرتي في الاتكال عليهم، طيبة قلبي، والاعتماد على طيبة قلوبهم، وثقتي في نية الإنسان، مادام أن الإنسان حر، وما دمت لا أؤمن بوجود بطبيعة بشرية، تصلح أن أخذها أساسا)[١]

وبتَحْليلِ الواقِعِ والظَّواهِرِ الاجْتِماعِيَّةِ على أَساسِ تَناقُضاتِه، رفض سارتر ما تقرره الماركسية، من أن الإنسان يصنع التاريخ من خلال العلاقة بينه وبين الظروف المحيطة به، و(فكرة الماركسية هي فكرة الطبيعة في الإنسان والإنسان في الطبيعة، وهي فكرة لا يمكن تعريفها من وجهة النظر الفردية)[٢].وتعرف من خلال عالم الأشياء الذي تعالجه العلوم، وتسلم بوجود الحقيقة النسبية(وهذا يعني أن للإنسان قوانين عمل، كما لكل موضوع علمي آخر، وأن هذه القوانين بالمعنى الكامل للكلمة، تكون طبيعة الإنسان)[٣].تظهر هذه العلاقة في فعل الإنسان وما يحدثه من تغيير(إننا متفقون على القول بأنه لا توجد طبيعة إنسانية، وهذا يعني أن كل عصر يتطور طبقا لقوانين ديالكتيكية، وأن البشر يستندون في تكوينهم، إلى العصر الذي يتواجدون فيه، لا إلى الطبيعة الإنسانية)[٤]

و مادام لا يؤمن سارتربوجود طبيعة إنسانية، فلا قانون عام، ولا حقيقة حتمية(فكيف يمكن أن نحافظ من داخل تغيرات التاريخ المستمر، على ما يكفي من المبادئ اللازمة لتأويل أي ظاهرة تاريخية)[٥]

الحرية عند ماركس:تدعو إلى عدم رضوخ الإنسان لقوى الطبيعة الخفية، أو الاجتماعية المفروضة عليه قسراً، فهي تعني إدراك الضرورة طبيعياً واجتماعياً، وتظهر في الوحدة الجدلية بين قوانين الطبيعة، المستقلة عن وعي

(١)المصدر نفسه:ص٣٧
(٢)المصدر نفسه: ص٨٢
(٣) المصدر نفسه:مناقشة نافيل لسارتر، ص٨٢
(٤)المصدر نفسه:ص٩٤
(٥) المصدر نفسه:ص٩٤

الإنسان، واستيعاب الإنسان لهذه القوانين.ولا يحقق هذا الإدراك وحده، الحرية، بل بتوظيفه للقوانين في تحقيق الغايات

عاصر سارتر أحداث سياسية واجتماعية مؤثرة،وما طرأ علي العالم من تحولات جوهرية، جعلت من الطبيعي تحيزه للنزعة الفردية المغالية (إني غير متأكد مثلا من أن رفاقي في النضال سيتابعون العمل بعد موتي، حتى يصلوا إلى الكمال الذي لا بعده كمال، ما دام رفاقي أحرارا، وما داموا سيقررون بحرية مصير الإنسان في الغد)[١]تحول الفعل عند سارتر من نشاط ذاتي حر، يقوم به الفرد، إلى عمل مسئول يقوم به كائن اجتماعي تاريخي، يهدف إلى تغيير العالم.

يتفق سارتر مع الماركسية على البداية، وهي أسبقية الوجود على الماهية،والخلاف بينه وبينهم،في أن الفرد ليس نتاجا للظروف المادية والاقتصادية، بل يستطيع الفرد بأفعاله، تخطي مجال الظروف المادية ليصنع التاريخ(يجب أن التزم حيال ذاتي، ثم أصنع ما التزمت به، طبقا لما يقضي به القول المأثور:"لا حاجة للأمل حتى استمر في العمل")[٢].نفى سارترعن الإنسان الماهية الثابتة، وأثبت له الوجود الحر، وعبر عنه بالصيرورة، أي التحول والتغيير المستمر في الوجود الإنساني، فالإنسان ليست له ماهية ثابتة، معطاة له مقدما، لأنه ليس من الأشياء المصنوعة

(١) المصدر نفسه:ص٣٧
(٢)المصدر نفسه:ص٣٧

الفصل الثاني

فلسفة سارتر

الوجود يسبق الماهية "الجوهر":هو الأساس لفكر الوجودية، معناه أن الإنسان يولد أولا، ثم يعود إليه الأمر في تحديد جوهره وتكوين ذاته.يكون شخصيته الخاصة، عن طريق الحياة التي يختارها.غير مكلف من إله بتحقيق غاية أو هدف مسبق، أو السير في طريق معد له مسبقا، أعده له الإله، يجب عليه أن يتبعه ويسير فيه.بدت فكرة سبق الوجود على الماهية في أول الأمر غريبة، مع ما نشأت عليه الفلسفة، من أن الماهية هي الأساس، وأن الإله خلق العالم والإنسان، لغاية مسبقة، و ليس على الإنسان أن يختار طريقه في الحياة، أو يبحث عن غايته، فالله تولى ذلك الأمر.لا ترادف بين الوجودية والإلحاد، فبعض الوجوديين ملحدون، و بعضهم مؤمنون.ينكر الوجوديون الملحدون، فرض أي هدف أو غاية على الإنسان، لكي لا يكون مجبرا، وليس حرا

المبحث الأول

البحث عن المعاني

قد يوجد الإله في معنى أو هدف، داخل الإنسان أو في حياته أو في العالم.هذا العالم، وأفعال الإنسان تفتقر إلى المعاني و الحقائق الفطرية.هذا هو الأساس التي قامت عليه الوجودية، التي يطرح من خلالها ما يعرف بالعبث، الذي يبدو لبعض الناس أمرا غير منطقي.ويعني أن جهد الإنسان لإدراك معنى الكون، دائماً ما ينتهي بالفشل، لأن المعنى المراد غير موجود أساساً، فلا وجود لجواب كافي لجميع تساؤلات الإنسان، وما يعانيه الإنسان من الصعوبة، لمحاولة فهم العالم الذي يحياه، عبثية.والعبثية هي أرقى مستويات السخرية، لما ليس متناسقاً ولا مترابطا، مع أي شيء أمام الإنسان.يبحث الإنسان منذ الأزل عن معنى للحياة، ينتهي بالوصول إلى نتيجتين هما:أن الحياة دون معنى، أو أنها تحتوي

على هدف وضعته قوة عليا، من خلال الإيمان بالله أو إتباع ديانة أو مفهوم مجرد آخر

العبثية

العبث في اللغة:العمل لا حكمة فيه ولا فائدة[١]و العبثية عند الوجودية:مصطلح فلسفي، يصف البحث عن إجابات في عالم لا إجابات له، من خلال بحث الإنسان في العالم، عن المعاني التي يحتاج إليها، دون الحصول على أي إجابة.في عالم مليء باللامعنى، أي معاني ثابتة ومفاهيم دائمة للأشياء. صراع الإنسان للبحث عن الحقائق الكامنة ومعنى الحياة، وبين عدم قدرته على الوصول لأي منها.ووفق الوجودية لا تعني كلمة "العبث"بالأمر "المستحيل منطقيا"، ولكن تعني "المستحيل بالنسبة للإنسان".تعني أنّ الكفاح الإنسانيّ للبحث عن إجابات لما يطرحه الإنسان من تساؤلات لا فائدة منه

ما دام العالم يفتقر للمعاني، و لم يخلق لسبب، وليس هناك غاية أو هدف، فلا يوجد مطلق يذعن له، ولا عدالة سماوية، ولا نظام، ولا قانون.فقد تخلى الكثير من الناس عن إيمانهم بعد الحرب العالمية الثانية، بسبب آثار الحرب المدمرة في العالم، الذي أصبح غير منظم، يصعب فيه وجود أي معنى.وأكثر جوانب الحياة إيلاما عند سارتر، ليس افتقار العالم للمعنى، لكن تخليه عن الحرية، التي تعد لكثير من الناس جوهر وأساس الإنسان.اعتقد سارتر أن الناس مجبرون، ومحكوم عليهم بأن يكونوا أحرارا، فلا يوجد توجيهات لأفعالهم، وكل واحد ملزم، بتصميم قانونه الأخلاقي الخاص به، الذي يعيش على وفق أخلاقياته (نحن الذين نقوم باختيار قيمنا.ذلك لأننا ما دمنا قد ألغينا وجود الله الأب، وكان هو المبدع القديم للقيم، فلابد أن يكون هناك آخر، يحل محله ويبدع القيم.وقد اخترنا

(١)المعجم الوجيز: ص٤٠٣

نحن أن نبدع قيمنا، وما دمنا نحن الذين نبدعها، فليس من المعقول أن توجد الحياة مسبقةapriori)[1]

قد يظن البعض في رحلة بحثه عن إجابة، للأسئلة الملحة على الإنسان، أن يجدها عند سلطة من السلطات، لكن هذه السلطات التي تستطيع التفكير في الإجابة، كلها عند سارتر مزيفة.يستطيع الإنسان أن يفعل ما يقوله، أبوه أو الكنيسة أو الحكومة، لكن هذه السلطات مجرد بشر مثله، ليس لديهم أي إجابات، وعليهم أيضا أن يكتشفوا بأنفسهم كيف يعيشون.و أفضل ما يستطيع فعله الإنسان أن يعيش فردا ذاتيا، يمارس كامل حريته في ظل هذا العبث، ويعرف أن أي معنى تمتلكه حياته، هو ما أعطاه لها، وإذا قرر أن يتبع طريقا، أعده له شخص آخر، والده أو أستاذه أو دينه، سيكون لديه ما أسماه سارتر بالإيمان الخاطئ، وإذا رفض تقبل العبث، وعاش بإيمان خاطئ، فهو يدفن رأسه بالتراب، ويتظاهر بأن هناك شيء ما لديه معنى، هذا المعنى هو لم يعمله، ولم يبحث عنه بنفسك

فسر سارتر هذه الفكرة عبر قصة عن أحد الشباب، واجه موقفا، يوجب عليه أن يتخذ قرارا صعبا، في مفترق طريق حياته، يستطيع أن يدخل الجيش، ويذهب للقتال من أجل قضية يؤمن بها، وأراد القيام بها، لأنه اعتقد أنه على صواب، لكن في المقابل توجد لديه أم طاعنة في السن، إذا ذهب للحرب سيتركها وحيدة، وهذا أمر خطأ، يستطيع البقاء معها، ويترك الآخرين يقاتلون من أجل العدالة، أو يذهب للحرب، ويترك أمه وحيدة، وقد لا يراها مجددا.شعر الشاب بالواجب لقضيته ولأمه، وعليه فقط خدمة أحدهما، لكن إذا ذهب للحرب سيكون جزء صغير من قضية كبيرة، مساهمته من الممكن أن لا تكون شيئا عظيما، لكنه

(١) الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ص٦٣

سيساهم في شيء، سيؤثر في ملايين البشر، وإذا بقي، سيصنع فرقا كبيرا في حياة شخص واحد.إذا ما هي الإجابة؟

المغزى عند سارتر في قرار الشاب، أن لا يمكن لأحد أن يعطيه إجابة، وفي الحقيقة لا توجد إجابة، إلا أن يختار الشاب أحدهما بنفسه، لا نظرية أخلاقية ستساعده في اتخاذ القرار، لأن نصيحة أي شخص، لن تقوده لقرار أصيل.إذا اختياره - مهما كان -هو الخيار الوحيد الصحيح.بشرط أن يكون أصيلا، لأنه محدد بالقيم التي اختارها وتقبلها(فالقيم الأخلاقية غامضة غير محددة، وهي تمتد وتتسع إلى ما لانهاية)[1]

أهمية الوجود الفردي، وحرية الإنسان

الإنسان عند سارتر يعيش دائما في معاناة، لأنه محكوم عليه بالحرية.لقد رمينا إلي الوجود، وأصبحنا علي وعي بأنفسنا، ثم كان علينا أن نقوم باختيارات، حتى قرار عدم الاختيار، هو خيار، وكل خيار يقوم به الإنسان، يظهر ما يعتقده، في ما يجب أن يكون عليه.السكين لها ماهية، يجعلها ما هي عليه، ينبغي أن يكون لها نصل، وإلا فإنها لن تكون سكينا.الماهية تسبق وجود السكين الحقيقي، التي على أساسها، صممت السكين.لكن الإنسان عند سارتر، لم يسبق وجوده تصميم للكائن البشري، يجب أن يكون عليه، ليس هناك إله يحدد له هدفا، بل ليس هناك طبيعة بشرية تحدد له طريقه، وكيف يعيش.

الإنسان رهين اختياره، لا يجد داخل ذاته أو خارجها ما يحتج به، ليكون له عذرا، على تفعيل حريته وتنفيذ اختياره.الوجود يسبق الماهية هو المعتقد الأساس في الوجودية، الإنسان يخلق نفسه من خلال أفعاله المختارة، التي اتخذها في عالم خال من القيم الثابتة، هذا ما يجعله نفسه وذاته، فهو ما يفعله.ومما يزيد

(١) الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ص٢٩

في معاناته، أن كل قرار صادق اتخذه، يقدم صورة عن اعتقاده، في ما يجب أن يكون عليه أي إنسان، في صياغته لنفسه، فإنه يصوغ الإنسانية.وينبغي أن يتصرف، وكأن كل الناس تراقبه، وأنه ليس هناك من مهرب

أكد الفكر الوجودي على أهمية الوجود الفردي، واتجه معظم الفلاسفة الوجوديون نحو وصف مظاهر الوجود الإنساني، وما يخصه من مشاعر وأحاسيس، على أساس أن الوجود هو المبدأ، الذي تترتب عليه أفعال الإنسان في الحياة، وعليه تكتسب الأشياء معانيها.مسئولية الإنسان في الوجودية كبيرة، لأن ما يختار أن يكون عليه من قيم، أو من تحقيق الأهداف، لا يخصه وحده، بل يخص الناس جميعاً، والعصر الذي تواجد فيه مع هؤلاء الناس.إن تحديد القيم والمواقف الأخلاقية، تخص حرية الاختيار، أي ذاتية الإنسان.فلسفة سارتر الوجودية فلسفة إنسانية تهتم بالوعي والشعور والعواطف والانفعالات لدى الإنسان، يفوز فيها الإنسان على وجود حقيقي، ولا يكون مجرد شيء مصنوع، فهو يصنع نفسه، ويحقق ماهيته، بفضل قراراته وأعماله

سبق الوجود على الماهية لكي لا يكون الإنسان شيئا مصنوعا، يحتك بالعالم ويكون صفاته، يختار لنفسه ما يحدد حقيقته برغبته وإرادته، ولن يكون إلا ما قدره لنفسه.كل فرد وصياً على نفسه مسئولا عنها مسئولية تامة و كبيرة.وباختياره لنمط معين من الوجود هو تأكيد لقيمته، وإعلاء من شأنه.كأنه يقول لكل الناس:اختاروا مثلي، فلا يمكن أن اختار الشر لنفسي، اختار دائما الخير، ومن ثم فهو خير لكل الناس

المبحث الثاني

الوجود يسبق الماهية

بنى الفلاسفة الأوائل مذهبهم الفلسفي، على أن الناس قد خلقوا طبقاً لفكرة عامة سابقة، ومفهوم عام في ذهن وعقل الخالق، هي نموذج، يجب أن يكون عليه كل فرد من الناس.و الوجودية ترفض وجود المعنى المشترك بين الأفراد، فلا يوجد معنى كلى يطلق على كل أفراد إنسان، لا يوجد تعريف عام ينطبق على كل الأفراد، فلا وجود للكلي بل يوجد فقط معنى جزئي ينطبق على فرد فرد(فالحياة ليست حياة حتى نحياها.وأنت وحدك الذي تعطي للحياة معنى، وقيمة الحياة ليست إلا المعنى الذي تختاره أنت لها لذاك، كما نرى، تستطيع الوجودية أن تخلق مجتمعا إنسانيا متضامنا)[1]

ومعنى أسبقية الوجود على الماهية، يوجد الإنسان، ثم يكون صفاته، ويختار هدفه في الحياة، ولن يكون إلا ما قدره لنفسه.إن اختيار الإنسان لقيم معينة، هو إعلاء لشأن هذه القيم، كأنه يقول لكل الناس، الذي اختارته لنفسي هو الخير، فلا يمكن أن اختار الشر لنفسي، ومن ثم فهو خير لكل الناس

نظر فلاسفة الوجودية وخاصة سارتر إلى فلسفة الماهية(التي تفترض سبق الماهية على الوجود)على أنها جبرية تحتم سلوك الإنسان بناء على صورته في ذهن الله أو بالنظر لفكرة عامة.فسبق الماهية كانت هي الرؤية السائدة في الغرب إلى حدود القرن الثامن عشر ومعنى ذلك أن الإنسانية قد خلقت طبقا لفكرة عامة، أو مفهوم عام أو نموذج عام يجب أن يكون عليه البشر.وبسبق الوجود على الماهية يلغى ما يسمى بالطبيعة البشرية التي يصاغ عليها الإنسان، تجعل الناس تشترك جميعا في نفس صفات الإنسانية.مع ظهور منهج نقد الأديان والتشكيك في وجود الله، تحولت الفكرة من خلق الله للإنسان إلى خلق الإنسان

(١) الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ص٦٣

لنفسه.فالإنسان يوجد أولا في العالم ثم يكتشف نفسه لتظهر حريته في صورتها المطلقة.فالجسد لا معنى له، افعل به ما تشاء وما يحلو لك.سلوكك ملكك أنت الذي تحدده.فالإنسان حر، لأنه لم يسبق وجوده ماهية تحدد سلوكه.

عند الفلاسفة القدماء الماهية تسبق الوجود، بمعنى أن الله سبحانه عندما يخلق، فهو يعرف تمام المعرفة ما يخلقه، بما لديه من فكرة ثابتة عن المخلوقات،فإذا فكر في خلق الإنسان، أو أي من المخلوقات،(فإن فكرة الإنسان تترسب لدي الله، كما تترسب فكرة السكين في عقل الصانع الذي يصنعها،بحيث يأتي خلقها طبقا لمواصفات خاصة وشكل معين،وهكذا الله فإنه يخلق كل فرد طبقا لفكرة مسبقة عن هذا الفرد)[1]

يشرح سارتر معنى سبق الماهية على الوجود بضرب مثلا كالكتاب أو السكين(نجد أن السكينة التي صنعها حرفي،وأن هذا الحرفي قد صاغها طبقا لفكرة لديه عن السكاكين،وطبقا لتجربة سابقة في صنع السكاكين،وأن هذه التجربة أكسبته معرفة هي جزء لا يتجزأ من الفكرة المسبقة التي لديه عن السكاكين التي سيصنعها)[2]،فالصانع كان يعرف فيما ستستخدم السكين،فصنعها بصفات معينة وصورة معينة وطبقا للغاية المرجوة من صناعتها

ماهية السكين تعني:مجموعه صفاتها وشكلها وتركيبها، والصفات الداخلة في تركيبها، والفائدة المرجوة منها.فتعريف السكين سبق وجودها، فهو فكرة سابقة في ذهن الصانع،يكون لها وجودا معينا خاصا بها،قبل الوجود المحقق في الواقع(وجود تكنيكي،بمعني أن السكين بالنسبة لي هي مجموعه من التركيبات والفوائد،ونظرتي لكل الأشياء بهذه الطريقة تكون نظرة تكنيكية،يسبق فيها

(١) المصدر نفسه: ص١٢
(٢) المصدر نفسه: ص١٢

الإنتاج علي وجود الشيء وجودا محققا،أي أنه قبل أن يوجد الشيء، لابد أن يمر علي مراحل عدة في الإنتاج)[١]

يقرر سارتر أن النظريات الإلحادية في القرن الثامن عشر قضت على فكرة الله فلسفيا،لكنها لم تقض على فكرة أن الماهية تسبق على الوجود،بل لا تزال مسيطرة على أذهان الكثير، إذ تعتبر الإنسان ذو طبيعة بشرية مطبوع عليها، يتسم بها الإنسان، ويشترك في صفاتها مع غيره من البشر[٢]،وبذلك تكون الإنسانية قد خلقت طبقا لفكرة عامة،أو مفهوم عام أو نموذج عام، يجب أن يكون عليه البشر، وعليه ففكرة الإنسان في التاريخ أسبق على حقيقته.إلا أن الوجودية كما يمثلها سارتر(تعلن في وضوح وجلاء أنه إذا لم يكن الله موجودا، فإنه يوجد على الأقل مخلوق واحد، قد تواجد قبل أن تتحدد معالمه وتبين.وهذا المخلوق هو الإنسان)[٣]

ويفصل سارتر قضية سبق الوجود على الماهية، في عدة نقاط على النحو الآتي:

١- أن الإنسان يوجد أولا ثم يتعرف على نفسه ويحتك بالعالم الخارجي فتكون له صفاته،ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده،وعليه فهو يكون وفق ما يقدره لنفسه، ولهذا لا يكون للإنسانية شيء اسمه الطبيعة البشرية.وبذلك يتخلص مما ساد من محاولة نظم الإنسانية، وفق قوانين حتمية، كقوانين العلم

٢- الإنسان ليس إلا ما يصنعه بنفسه، أي أن له كرامة أكبر من منضدة أو حجارة، فهو يوجد أساسا ثم يكون ثم (يمتد بذاته نحو المستقبل، وهو يعي أنه يمتد بها إلى المستقبل، فهو مشروع يمتلك الحياة ذاتيا، وليس شيئا كالطحلب)[٤]

---

(١) المصدر نفسه: ص١٢

(٢) الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ص١٢

(٣) المصدر نفسه : ص١٤

(٤)المصدر نفسه : ص١٥

٣- كل فرد مسئول عن ذاته ووصيا عليها بشكل كامل.الوجودية مذهب إنساني في فلسفة سارتر،يجعل حياة الإنسان ممكنه،ويؤكد على أن كل حقيقة،وكل عمل،يستلزم بيئة معينة وذاتية إنسانية، تجعل الإنسان كائن متعالي بطبعه يتجاوز ذاته،يعامل الأشياء معامله مرجعها هذا التجاوز.ليس هناك عالم آخر غير عالم الذات الإنسانية،والإنسان لا يتحقق له وجود باتجاهه نحو ذاته، بل بتجاوز ذاته، وسعيه خلف غايات خارج ذاته، وبهذه الطريقة وحدها يحرر ذاته ويحقق وجودها

ليس للإنسان في بداية حياته صفات محددة، لأنه يبدأ من الصفر مثل السبورة الفارغة أو برواز الصورة الفارغ.ولن يكون شيئا إلا بعد أن يحقق ما قدره لنفسه، فهو مشروع يمتلك حياة ذاتية، فهو ليس شيئا مصنوعا.عملية اختيار الإنسان لنفسه، تؤثر في كل الناس من ناحية، وتساهم في خلق الإنسان كما نتصوره، وكما نظن أنه يجب أن يكون.كأنما نقول لكل الناس، اختاروا كما اخترنا.وإذا قررت التدين والخضوع إلى قضاء الله وقدره، فعملك هذا هو إلزام لكل البشرية أن تفعل نفس الشيء.القلق الذي يكابده الوجوديون، هو قلق المسئولية تجاه الآخرين.لا يمثل حاجزا يفصلهم عن العمل، وإنما جزء من العمل وشرط لقيامه.الإلحاد عند الوجوديين الملحدين، لا يترتب عليه هدم للقيم.القيم الخلقية باقية ولازمة، للفكر الوجودي الملحد

الوجودية عند سارتر، ليست فلسفة تأمل وسكون، لأنها تحدد الإنسان طبقا لما يفعل.وليست فلسفة متشائمة، لأنها تضع مصير الإنسان بين يديه.بذلك تكون أكثر الفلسفات تفاؤلا، هي تدفع الإنسان للعمل، وترى أن لا خلاص ولا أمل إلا في العمل، فهو سبب استمرار الحياة.هي فلسفة أخلاق وعمل والتزام، لأنه لا يوجد غير الإنسان وحده، يقرر الخير أو يخترع الشر لنفسه، فهو مصدر القيمة

الأخلاقية التي تنطلق من الذات، يترتب عليها أن الإنسان هو الذي يضع القيم فيصنع الخير والشر، وعلى هذا تكون مسؤوليته مطلقة

بنت الفلسفة الوجودية الإلحادية نظرياتها في القرن الثامن عشر، على إنكار وجود الله، و بنى سارتر رأيه بأن "الوجود يسبق الماهية"على مبدأ الإلحاد، يراه أكثر منطقية في نظره، لأن فكرة وجود إله خالق، يتصور في ذهنه طبيعة إنسانية، أو طبيعة الأشياء، ومن ثم يخلق الإنسان بناء على تصور تلك الطبيعة "ماهية الإنسان".يترتب عليه علم الله تعالى بما سوف يحدث لخلقه، فيحدث الجبر على العباد، بل على جميع الخلق، وينفى عن الإنسان وغيره الاختيار وحرية الإرادة، (لا بد أن نؤمن بأن إرادة الله تولد أساسا،أوعلي الأقل تسير جنبا إلي جنب مع عملية الخلق،بمعني أنه عندما يخلق، فهو يعرف تمام المعرفة ما يخلقه)[١]،فمفهوم الخلق فكرة قائمة في ذهن الله، كما استقرت فكرة السكين، في عقل الصانع الذي يصنعها،طبقا لمواصفات خاصة وشكل معين.فلا توجد طبيعة إنسانية، ماهية كلية تنطبق على جميع أفراد الإنسان،لأنه لا يوجد إله خالق يتصور هذه الماهية في ذهنه

أسبقية الوجود على الماهية وخصوصا بالنسبة للإنسان، تعني وجود الإنسان أولا،ثم يكون ماهيته وحقيقته وذاته باحتكاكه(بالعالم الخارجي فتكون له صفاته،ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده،فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة، فذلك لأنه قد بدأ من الصفر.بدأ ولم يكن شيئا، وهو لن يكون شيئا إلا بعد ذلك،ولن يكون سوي ما قدره لنفسه.وهكذا لا يكون للإنسان شيئا اسمه الطبيعة البشرية،لأنه لا يوجد الرب الذي تمثل وجود هذه الطبيعة، و حققها لكل فرد طبقا للفكرة المسبقة التي لديه عن كل)[٢]

(١) الوجودية مذهب إنساني: سارتر، ص١٢
(٢) المصدر نفسه: ص١٤

تركز الفلسفة الوجودية على أهمية الوجود، وتبدأ من الإنسان بوصفه موجودا، لا بوصفه ماهية و ذاتا مفكرة (وأن المرء لا يستطيع أن يضع طبيعة أو ماهية للإنسان، ثم يبدأ في استنتاج ما يترتب على هذه الطبيعة الإنسانية من نتائج.وربما كانت هذه الرؤية الوجودية للمشكلة، هي أساسا التي تعطي لهذه الفلسفة طابعا، الذي يتسم إلى حد ما بالهلامية)[١] (الهلامية موجود في صميم الوجودية ذاتها.فأنصار هذه الفلسفة ينكرون، أن يكون من الممكن وضع الحقيقة الواقعية، في تصورات دقيقة محكمة، أو حبسها في مذهب مغلق)[٢]

الإنسان ليس له خالق خلقه، طبقا لفكرة عامة مسبقة، أو نموذج لديه بالطبيعة الإنسانية، التي يصاغ عليها الإنسان، بما عليه من شكل أو صفات، بل هو من صنع نفسه، وما ارتضاه أن تكون عليها، وما حققه لها من أهداف(الإنسان يوجد ثم يريد أن يكون،ويكون ما يريد أن يكونه، بعد القفزة التي يقفزها إلي الوجود)[٣]

الإنسان مشروع

المشروع:هو مفهوم اقتصادي في الأصل، ويوظف في المجال الإنساني عندما يتصور الإنسان كمشروع، قد يكون هو صاحبه، وقد يكون المجتمع هو الذي يجعل من الإنسان مشروعا له، يصنع منه ما يريد، وفق ما يسطره من أهداف وغايات.وماهية الإنسان لا تتحدد قبل وجوده، بل يوجد أولا ثم يصنع بنفسه ما يشاء، إنه مشروع يتميز

بالتعالي على وضعيته، لا بانغلاقه على كينونته، منفتحا على العالم وعلى الآخرين.

---

(١)الوجودية:جون ماكوري، ص١٧

(٢) المصدر نفسه :ص١٥

(٣) المصدر نفسه : ص١٤

الإنسان يوجد أولا، يجد نفسه غير حامله لأية صفات أو ماهية قبلية، ثم يشرع في تأسيس ذاته.الإنسان هو ما يريده الآخر، لكن مادام الإنسان هو أيضا آخر، فالإنسان هو ما يريد هذا الإنسان إلى حد ما.الإنسان ليس قبل كل شيء، إلا مشروعا يعيش بذاته و لذاته(وقبل أن يكون الإنسان مشروعا، لم يكن هناك ما يوجد منه، ولا حتى في سماء الذكاء، إن الإنسان لن يحقق لنفسه الوجود، ولن يناله، إلا بعد ما يكون ما يهدف إليه، وليس ما يرغب أن يكون)[1].هذا المشروع سابق في وجوده لكل ما عداه.فالإنسان هو ما شرع في أن يكون، لا ما أراد أن يكون.لان المعنى العادي للإرادة هو كل ما كان قرارا واعيا، هو بذلك لاحق بوجوده لقرار سبقه.أستطيع أن أريد الانتساب لأحد الأحزاب، أو أريد تأليف كتاب، أو أريد الزواج(لكن في حالة كهذه، فإن ما يسمى عادة باسم إرادتي، إن هو إلا الممارسة الطبيعية، لقرار مسبق اتخذته عفوا)[2] و كل ذلك ليس إلا مظهرا من مظاهر، اختيار أصلي أكثر بساطة، و أكثر طبيعية، مما نسميه إرادة.ولأن الوجود يسبق الماهية حقيقة:

- فالإنسان مسئول عما هو كائن به من صفات وأفعال.فأول ما تسعى إليه الوجودية، أن تضع الإنسان بوجه حقيقته، وتحمله المسؤولية الكاملة لوجوده.وعندما نقول إن الإنسان مسئول عن نفسه، لا نعني أن الإنسان مسئول عن وجوده الفردي فحسب، بل مسئول عن جميع الناس

-عندما يختار الإنسان لنفسه، فهو يختار لجميع البشر.وكل عمل يقوم به، يخلق الذي يريده، وفي نفس الوقت يخلق للناس ما يرغبون أن يكونوه.ما يختاره الإنسان يؤكد قيمته، لأن الإنسان لا يختار الشر أبدا لنفسه، ما يختاره لا يكون إلا الخير، ولا خير في نظرنا إذا لم يكن خيرا للجميع.

(١) الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ص١٥
(٢) المصدر نفسه : ص١٥

- يستطيع الإنسان أن يعدل من شكله، والصورة الخاصة التي يختارها، تنطبق على الجميع، وتكبر مسؤوليته، لأنها تجر عليه في الواقع تحمل مسؤولية الإنسانية بأكملها(فإذا كان الوجود سابق على الماهية، و إذا كنا سنشكل الصورة التي سنكون عليها أثناء عملية وجودنا، فهذه الصورة لن تكون واقعنا نحن فقط، ولكنها ستكون كذلك واقع كل الناس المحيطين بنا، والعصر كله الذي نجد فيه أنفسنا)[١]

قد يعتقد البعض مقولة:إن الإنسان يكون ما يريد أن يكونه، أن الوجودية تقسو على الإنسان وتجعله وحيدا في الحياة، بل العكس هو الصحيح، لأنها تعطي للإنسان القوة والحرية، التي تجعله غير مقهور يتحكم في مصيره، يصنع قراره، وعليه أن يتحمل نتيجة هذا القرار(الإنسان ليس سوي ما يصنعه هو بنفسه) [٢]

- بتحقق ذاتية الإنسان، تكون كرامة الإنسان أكبر و أعلى من كرامة الأشياء كالحجارة أو المنضدة،فهو ليس شيئا من الأشياء، بل مشروع، يعني به أن الإنسان يوجد أولا،ثم يكون ما يختار أن يكونه، يمتد بذاته نحو المستقبل، وهو يعي ذلك،فالإنسان مشروع يمتلك حياة ذاتية.وجود متحرك دائم نحو المستقبل، لم يكن موجودا من قبل، يختاره الإنسان بعد أن يقذف إلي الحياة، يحقق لنفسه الوجود،ولن يناله، إلا بعد أن يكون ما يهدف أن يكونه في الواقع

(١) المصدر نفسه:ص١٧
(٢) المصدر نفسه:ص١٤

الآثار المترتبة علي أسبقية الوجود على الماهية

أولا:مسئولية الإنسان التامة عن نفسه، إن(كل فرد وصيا علي نفسه، مسئولا عما هو عليه مسئولية كاملة)[١] بما يحقق الذاتية الكاملة للإنسان، وشرح علاقتها بالوجودية وحقيقة اختيار الإنسان، وكيفية وحدود اختياره، وتعني الذاتية(حرية الفرد الواحد من جهة، وأن الإنسان لا يستطيع تجاوز ذاتيته الإنسانية من جهة أخرى.والمعني الثاني هو الأعمق في الوجودية)[٢].عندما يختار الإنسان لنفسه، فهو يختار أيضا لكل الناس، ويساهم في خلق صورة للإنسان، كما يظن الناس أنها يجب أن تكون

ثانيا:يختار الإنسان دائما لنفسه الخير، ومن ثم، يختار الخير لكل الناس(كأننا نقول لكل الناس، اختاروا مثلما اخترنا، فنحن لا يمكن أن نختار الشر لأنفسنا، وما نختاره دائما خير لنا، ومن ثم، فهو خير لكل الناس)[٣]

ومثال ذلك من الحالات الشخصية:على فرض أنني قررت الزواج، وإنجاب الأطفال، فإن قراري هذا، هو نابع من عاطفتي أو رغبتي، لكني ألزم به الناس جميعا(أن تأخذ بفكرة الزواج وتمارسها، فأنا مسئول إذن عن نفسي، وعن كل الناس، وأنا اخلق صورة معينة، لما يجب أن يكون عليه الإنسان، وكما أريده أن يكون، فباختياري لذاتي وإبداعي لنفسي، أختار الإنسان، وأبدع الصورة التي يجب أن يكون عليها)[٤]

القلق، اليأس:من أشهر الكلمات التي طرحها سارتر للنقاش، وبين من خلالها فلسفته الوجودية، و يرى معناها في غاية البساطة، وتبين المبادئ الأساس للفكر

(١) المصدر نفسه:ص١٥
(٢) المصدر نفسه:ص١٦
(٣) المصدر نفسه:ص١٦
(٤) المصدر نفسه:ص١٨

الوجودي، أن اليأس أو القلق حالة في وعي الإنسان تجعله أمام نتيجة اختياره، فهما(ألزم من المسئولية التي يحسها إنسان يعيش في وحده، ولا يجد من يشير عليه إلا نفسه، فهو مضطر إلى اتخاذ ما يشاء من قرارات وحده.والقلق أو اليأس، بالنسبة لكم، حالة من الوعي بمصير الإنسان، وهي حالة لا يجد الإنسان نفسه فيها دائما.وأنا أوافقك على أن الإنسان يختار ما سيكون) [1]

(١) المصدر نفسه:ص٦٩

المبحث الثاني

الحرية عند سارتر:

حرية الإنسان عند سارتر صفة لا تنزع منه، أو يحرم منها، بل عين وجوده، وأساس ذاته، وإلا كان كالأشياء المصنوعة (إن الإنسان محكوم عليه بالحرية، محكوم لأنه لم يخلق ذاته، وهو حر، لأنه صار مسئولا عن كل ما يفعل، بمجرد أن تواجد في العالم)[1] فهو مسئول عن العالم، ومسئول عن نفسه، باعتباره نوعا من الوجود. تظل حرية الإنسان قائمة لا تمس، حتى ولو كان عبدًا، لا تتفاوت درجاتها بين الناس.الإنسان حر، لأن وجوده أسبق من ماهيته، الإنسان حر، لأنه يختار لنفسه ماهيته الخاصة به.يوجد في العالم أولاً، ثم يفعل بنفسه ما يشاء، ويصنع لنفسه الماهية التي يختارها بكامل حريته.

الإنسان مسئول عن ماهيته، ويتحمل نتائج اختياره.بالمسئولية يتم تنظيم المجتمع، وحمايته من الفوضى والدمار.فهي نتيجة طبَيعية ومنطقية للحرية؛تشعر الإنسان بالخوف، من اختياره، الذي يحتمل النجاح والفشل.الحرية صفة ذاتية ليست عرض، حرية الاختيار لدى الإنسان مطلقة، كما يريد الحرية لذاته، لابد أن يعطيها لغيره.

هدف الفلسفة عند سارتر الاهتمام بذاتية الإنسان، التي تتحقق في الواقع بحريته التي يقيمها على مبدأ، أن الإنسان يسبق وجوده ماهيته، فلا تتحدد ماهيته إلا من خلال حياته وأفعاله واختياراته، لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الحر في الأصل، يحد من حريته الوجود المجتمعي، فالآخر جحيم للفرد، بما يفرض عليه من قوانين.

ينطلق سارتر من الحرية، محاولا تحطيم كل ما يفرض على الإنسان من الخارج، سواء كان فكرا من مجتمع،أو أمرا من إله.وجود الناس سابق لماهياتهم،

(١) الوجودية مذهب إنساني: سارتر، ص٢٦

إذ الذاتية تعني لوجودهم العيني، أن يقفوا موقف الاختيار.لا يمنحهم آله أو مجتمع أي معاني أو ماهية.العالم عند سارتر لا خالق له(ولهذا فليس أمامه إلا الجهد البشري، يستمد منه طراز يتطرز به، وفي لغة الميتافيزيقا التقليدية، يكون معنى ذلك، أن الناس أسباب أولية، وليسوا أسبابا ثانوية)[١]

بالتحليلات الداخلية للمواقف الإنسانية، يبدأ سارترعمله، يكشف عن حساسية مفرطة، لمتاهات الوعي البشري، التي تشتبك فيها الخيوط، معتمدا على مذهب "الأنا وحدية"، نظرية انحصار الذات في نفسها (يجد في صورة العلاقات بين الناس في المجتمع، وهي ما قدره مارسيل تقديرا عاليا، مصادر تهدد كيان الشخصية الفردية، إذ إنها تهيئ أمام الإنسان فرص خداعة لنفسه، وفرص التخفي وراء قناع)[٢]

الكينونة والصيرورة

الوجود يسبق الجوهر "وجودية الحادية":يتجاوز بها سارتر، فكرة أن الوجود وحده

"الكينونة"حالة الثبات هو ما يحتل المرتبة الأولى في ترتيب المعرفة، و يضعه من الذين يعتمدون على دور التجربة رجوعا إلى قول هيراقليطس أن الإنسان قيد "الصيرورة" في حالة تغير وتحول مستمر.مشروع يسعى دائما إلى تحقيق ذاته، بدلا من "الكينونة"، له حالات خاصة، لا مفهوم كلي، يندرج تحته بقية الناس.الوجود البشري الفردي الملموس هو الواقع، لا وجود لما يعرف بالإنسانية، يوجد رجال ونساء فحسب"الخصوصية الفردية"لا التجانس العام، لا توجد مفاهيم عامة، لا وجود إلا لمعطيات الوجود الملموسة الخاصة، ولعدم

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة:جوناثاي ري، وج.أو.أرمسون، ترجمة فؤاد كامل، ص١٧٧
(٢) المصدر نفسه:ص١٧٧

وجود حقيقة عالمية ثابتة، فلا وجود لما يوحد فهم الناس للواقع، فالواقع في حد ذاته مناف للعقل وغير منطقي.

لا يتوافق شيء مع الآخر، ويشكل هذا نوعا من العدمية.الصفة أو السمة التي تميز الإنسان هي الذاتية، فإذا لم يكن الإنسان حرا فعلا، فليس إنسانا، إذا كان الله سيد العالم وحقيقيا، فلا حرية للإنسان، فكل إنسان خاضع دائما لفحص الله، وإذا كان الإنسان حرا فعلا، فلا وجود لله.الإنسان يتميز عن بقية الأشياء بالذاتية، فنحن أفراد ذاتيون، ولسنا أشياء.الفرد الذاتي صفته الأساس الإرادة الحرة، بدون قوة الاختيار، و القدرة على الاختيار، والقدرة على اتخاذ القرار بنفسه، لا يكون الإنسان حرا فعليا، ولا يكون هذا الإنسان فردا ذاتيا

الإله عند سارتر

الله عند سارتر:لا يمكن أن يكون كائنا متحقق الوجود في الواقع، فهو(ذات لا يمكن أبدا أن تصير موضوعا)[١].يمثل سارتر الوجودية الملحدة، فلا يؤمن بوجود إله، و في عدم وجود الله:يحقق موضوعيته، ويستقل بذاته، ويكون حر الإرادة والاختيار، ليس شيئا مصنوعا(فإني أحقق في المطلق موضوعيتي وأشخصها، ووضع الله يصحب بتشييء موضوعيتي)[٢]

يعلن سارتر نفيه لوجود الله، و تبريره لذلك، أن(فكرة الله فكرة متناقضة، ونحن نضيع أنفسنا عبثا)[٣] فلا مبرر، ولا علة، ولا ضرورة لوجوده.والإنسان قادر على تركيز انتباهه في نفسه، حين يتحرر من طغيان فكرة الله.و مبدأ "الوجود يسبق الماهية" يتطلب الإلحاد، وهو أكثر منطقية وتلاؤم في نظر سارتر، فلا

(١)الوجود والعدم:ص٤٨٠

(٢)المصدر نفسه:ص٤٨٠

(٣) الوجود والعدم :سارتر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص٩٦٦

توجد طبيعة إنسانية، لأنه لا يوجد إله خالق يتصورها في ذهنه، ثم يخلق الإنسان، بناء على تصوره لتلك الطبيعة.

وجود خالق للعالم يترتب عليه:أن الله يعلم ما سوف يحدث بخلقه، يعلم ماهية الشيء الذي يخلقه، فتكون الماهية سابقة على الوجود، ومن ثم يكون مبدأ الإلحاد هو الأصح، إذا أخذنا بأن الوجود يسبق الماهية.كل ما يهدد ذاتية الوجود الإنساني، يجب التخلص منه، وأكبر ما يهدده هو، الإيمان بالله عموما، واليهودية والمسيحية خصوصا، لأن أساس الاعتقاد في الفكر اليهودي المسيحي هو سيادة الله وسيطرته على العالم(هذه المحاولات التي تتضمن الإقرار المطلق بالله بوصفه الذات التي لا يمكن أن تكون موضوعا، تحمل في داخلها تناقضها، وهي في حالة إخفاق مستمر)[1]، لا وجود لإله يعطي الإنسان ماهيته وحقيقته، لأن فرض نمط معين أو التجانس، يلغي إمكانية وجود حقيقي للأشخاص، فليسوا أنفسهم إلا بالقدر الذي يختارون فيه بحرية، هذا هو الوجود الأصيل، الذي لا يخضع لمؤثرات خارجية، أو تشكله شرائع أخلاقية، أو عقائد دينية، أو سلطات سياسية، أو غير ذلك.

العلاقة بالآخر

ليس للإله عند سارتر وجود مستقل، قد يطلق على الهدف، الذي يريد كل إنسان موجود تحقيقه، يعني(أن الموجود المتناهي، هو ذاته الرغبة في الإلوهية، لكن وجود عدد كبير من الموجودات البشرية في العالم، يحبط تحقيق هذه الرغبة، فنحن لا نستطيع جميعا أن نصبح آلهة.ومن هنا نرى في الآخر، قبل كل شيء، عقبة تحول دون تحقق وجودنا البشري)[2]

(١) الوجود والعدم: سارتر، ص٤٨١

(٢) الوجودية:جون ماكوري، ص١٢٧

عبر سارتر بقوله الشهيرة:الآخرون هو الجحيم، عن حضور الذات أمام الغير، بأنه سقوط، لأنها تتحول أمام الغير إلي مجرد موضوع، يدركونه ويتعاملون معه، كما يتعاملون مع أي شيء محسوس آخر، حتى الحب الذي يربط الناس بعواطف روحانية، يراه سارتر محاولة لامتلاك الآخرين، باعتبارهم موضوعات تخضع للناس، ينفي عنها حرية الإنسان أمام الغير(أدرك نظرة الغير في حضن فعلي، بوصفها تجميدا واستلابا لممكناتي الخاصة)[١]

حرية الإنسان وسعيه لبلوغ وجود شخصي أصيل، يلقي مقاومة.فقد كشف سارتر

بنية الوجود من أجل الآخر، من خلال تحليله للنظر، بتفسير الوجود المرئي، وكيف أن كينونة الفرد، تحدد دائما بوجود الآخرين، (وحيدا لأجل ذاته يكون الفرد مستغرقا عبر فعله المباشر، فلا يعتبر نفسه في وعيه، مثل من هو في ذاته في فعله، إلا أن نظرة الآخر تسمره، وتحوله إلى موضوع، إنه تحت رحمة حكم الآخر، لقد عبر سارتر عن ذلك مستعينا، بمثل شخص يسترق النظر من ثقب باب، إن موقف الارتهان تجاه الآخر يمكن تجاوزه، حين يتحول الفرد بوعي، نحو إمكانياته الخاصة)[٢]

أنكر سارتر وجود الله:لأن لو كان إله اليهود والنصارى حقيقيا، وإن لم يكن سيدا وكلي القدرة فحسب، بل كان كلي العلم، يعرف كل شيء، يعرف أفكارك قبل أن تفكر بها، يرى جلوسك وقيامك، يعرف جيدا كل أمر تريده، قبل أن تقوم به، فهو يقضي على البشرية.هذا الأمر جوهري عند سارتر، لأن الصفة الأساس، والأكثر ضرورة لدى الإنسان هي الذاتية، وإن كان الله يرى كل شي،

(١) الوجود والعدم :سارتر، ص٤٤١

(٢) أطلس الفلسفة:بيتر كونزمان، بيتر بوركارد، ص٢٠٣

ويعرف كل شيء، فكل إنسان خاضع دائما وباستمرار، لفحص الله الدقيق الذي، ينزع عن الإنسان ذاتيته

يتكلم سارتر عن الله على أنه مسترق نظر، ينظر من ثقب الباب، داخل غرفة مغلقة، كل شيء وكل إنسان في هذه الغرفة عار، تحديق الله هذا، يجرد الإنسان من طبيعته البشرية، لأنك أمام هذا التحديق، تتحول إلى شيء، بدلا من أن تكون فردا ذاتيا

التحديق في البشر: يحول الإنسان إلي شيء، مثلما تمعن النظر في لوحة فنية، تحاول أن تحيط بها علما، من كل اتجاه، تمعن النظر فيها لدقائق، وربما لساعات.أو كما تحدق في القرود في حديقة الحيوان، لا تستطيع أن تفعل ذلك، مع أشخاص حقيقيين، سيعتبر ذلك عملا عدائيا، لأنك تحرم الشخص من خصوصيته، تحوله إلى شيء، وتجعله تحت مجهرك، وتحدد حريته، لذلك، فالجحيم هو الأشخاص الآخرون

هوية الإنسان، أن يكون حرا، يقرر لنفسه، وألا يتم إقحامه ضمن فئة جماعية، فيتحول إلى شيء، بدلا من إنسان.كل هذه الجهود لبلوغ الحرية والذاتية، كانت في النهاية بالنسبة لسارتر، عاطفة لا نفع لها.عاطفة لأنه وجوديا اهتم بالحياة بكل حماسة، لكن مع كل ذلك الحرص والاهتمام، الذي يوليه للوجود البشري، هو في النهاية عمل عقيم، عديم الفائدة، عبر عنه سارتر في أحد أعماله الأدبية الأكثر كآبة، سماه الغثيان، كأن هذا، حكمه النهائي على معنى الوجود البشري

العدمية:

العدمية تعني عدم وجود حقائق أبدية، أو هدف أبدي، أو معنى مطلق للوجود البشري.الماهية هي ما يشكل طبيعة الإنسان و كيانه، وعند سارتر لا يملك الإنسان طبيعة أبدية، يستند عليها.فكيف يتوجب على الإنسان أن يعيش؟

الإنسان يشعر بنفسه غريبا في حياة بلا معنى.والإحساس بالغربة يجعل الإنسان يشعر بالقلق والضجر والعبثية، والكثير من الناس يشعر، بأن كل شيء في العالم تافه لا معنى له

يرى سارتر أن عصر النهضة، قد أبرز حرية الإنسان واستقلاليته.الحرية حمل ثقل، الإنسان محكوم عليه أن يكون حرا.لأنه لم يخلق نفسه، ومع ذلك فهو حر.ما أن يرمى به في العالم، يصبح مسئولا عن كل ما يفعل.نحن لم نطلب من أحد أن يخلقنا أفرادا أحرارا، لكن بحكم الواقع، نحن أفراد أحرار، حريتنا تجعلنا محكومين في حياتنا دائما باتخاذ الخيارات، لا وجود لأي قيمة، أو عقيدة أزلية، تهدينا أهمية الخيار، نحن مسئولون كليا عن أعمالنا

لا يمكن للإنسان أن يرمي مسؤولية أفعاله على غيره، أو على أي شيء، علينا أن نتحمل مسؤولية خياراتنا، لا أن ندعي أن علينا أن نذهب إلى العمل، أو أن نأخذ بعين الاعتبار التزامات المجتمع، لنعرف كيف يتوجب علينا أن نعيش، والذي يتقبل هذه الضغوط الخارجية، يصبح كائنا مجهولا، يذوب في الجمهور.هذا الإنسان، يكذب على نفسه ليدخل القالب، ويلجا إلي سوء النية.

أما الحرية، فإنها على العكس من ذلك، تدفعنا لأن نصبح شيئا أخر غير الدمى المتحركة، بأن نوجد فعلا بطريقة حقيقية، يتعلق هذا أولا بخياراتنا الأخلاقية، حيث لا يجوز رمي الخطأ على الطبيعة البشرية، أو بؤس الإنسان أو ما شابه ذلك.قد يحدث أن يتصرف الإنسان كخنزير، ثم يلقي اللوم على آدم، لكن لا وجود حقيقيا لآدم هذا.إنها مجرد وسيلة للتخلص من اللوم، بإلقائه على الآخرين، يجب أن يكون هناك حدودا لرمي اللوم على الغير.

يؤكد سارتر أن لا معنى للوجود بذاته، هو ليس سعيد بذلك، لأنه ليس من العدميين الذين يرون، أن كل شيء جائز ومسموح به، بل يرى سارتر، أن الحياة يجب أن تأخذ معنى، هذا ملزم.علينا نحن أن نعطى معنى للحياة، وأن

نوجده وأن نخلق وجودنا الخاص.نحن محكمون بالارتجال والابتكار، علينا وحدنا، أن نختار كيف نعيش حياتنا، سنكون خائفين، لو اكتفينا بفتح الكتاب المقدس، ليبين لنا كيف نعيش

برهن سارتر على أن الوعي ليس شيء بذاته، قبل أن يدرك شيئا، لأن الوعي هو دائما وعي شيء ما، يعود لنا نحن أكثر مما يعود إلى العوامل الخارجية.نحن من يستطيع أن يقرر ما نريد إدراكه، باختيار ما له معنى بالنسبة لنا.على سبيل المثال، يمكن أن يوجد شخصان في مقهى واحد، يحسان بأشياء مختلفة تماما، السبب أننا نعطي معنى خاصا للأشياء، التي تهمنا من كل من حولنا.فالمرأة الحامل تشعر وكأنها، ترى النساء الحوامل في كل مكان، هؤلاء النسوة كانوا موجودات من قبل، ولم تنتبه إليهن، إلا عندما أصبحت حاملا.والمريض قد لا يري حوله إلا الناس المرضى.إن وجودنا الخاص يحدد طريقتنا في رؤية ما حولنا، فإن كان ثمة شيء ما، لا معنى له بالنسبة لي، يكون هناك توقع كبير في ألا أراه.فإن وعي الإنسان مقصور على الحرية، في حالة انفصال مستمر، يتيح له الحرية، الطبيعة البشرية الملازمة لوجود الإنسان

الفصل الثالث

ما تناقض به الوجودية العقل والدين

سبق الوجود على الماهية عند سارتر أراد به ضمان ذاتية الإنسان، لكن في الإنسان نفسه ما يخرجه عن الذاتية.فلم يختر لنفسه الجنس، بأن يكون حيوانا، أو النوع بأن يكون إنسانا، أو الصنف بأن يكون ذكرا أو أنثى.يقابل هذا منح الإنسان حرية مطلقة في اختيار أسمى معاني الإنسانية بما يرفعه إلى منزلة النبوة، أو يسقطه في هوة الشيطان.والإنسان حر في تحقيق الصفات الخاصة والخصائص الجزئية، التي تحقق له حرية كافية لتأسيس ذاتيته الإنسانية، التي تحقق له مسئولية الاختيار وحرية الإرادة

المبحث الأول

خصوصية الفرد لا تنفي عنه الماهية العامة

لا يلزم من ثبوت الخصوصية للفرد مثل المعرفة أو الحرية، عدم وصفه بالإنسانية، بأن تنزع عنه ماهيتها، فالخصوصية محلها الباطن، ووصف البشرية محله الظاهر، لذلك لم يتميز الأولياء والأنبياء والرسل عن بقية الناس لظهور صفات البشرية عليهم، فهم يأكلون ويشربون كما يأكل ويشرب الناس، ويمشون في الأسواق.فلا يعرفهم إلا من أراده الله بالخير والسعادة.ما أنكر الناس الأنبياء والأولياء إلا لاعتقادهم أن صفات البشر تختلف مع ثبوت خصوصية النبوة والولاية، قال تعالى: {وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق}[الفرقان:آية ٢٠]، هذه الصفات لازمة للطبيعة البشرية لا تنفك عنها، موجودة بجانب خصوصية النبوة والولاية

لو استطاع سارتر أن يرفض جنسه، أرقى الكائنات الحية، أو يغير صنفه من الذكورة إلى غيرها، أو لونه أو بلده أو زمانه، لكانت ذاتيته هذه جديرة بالتقدير والاعتبار.لم يستطع، ولو استطاع لفعل، لأن كل هذه الأمور، لا يعصى الله فيها،

خاصة بإرادته الكونية، أساس نظام العالم، لا تتخلف مهما يكن حال من الأحوال.قدر الله لا يتغير ولا يتبدل، يمضي في العالم، كما كتب وعلم.كل هذه الأمور لا وسع للإنسان بها ولا طاقة، لا مسئولية للإنسان فيها، ولا التزام، ولا تكليف، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها،يجب على الإنسان أن يرضى بها ويسلم تسليما، وإلا يأذن بحرب الله، لأنها صار مفسدا في الأرض، محاربا لله في ملكه

الله لا يأمر إلا بما هو مستطاع، بإرادته الشرعية، يوجب على الإنسان الطاعة ويمنعه عن المعصية.من أجل التكليف منح العبد القدرة والإرادة والاختيار، للفوز والفلاح في كل ما يقابله في الدنيا من الاختبار والابتلاء

إرادة الله عز وجل

إرادة الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم نوعان:إرادة كونية قدرية، وإرادة دينية شرعية (الإرادة الكونية:هي مشيئته لما خلقه، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية، والإرادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه، المتناولة لما أمر به، وجعله شرعا ودينا.وهذه مختصة بالإيمان، والعمل الصالح)[1]

أولا الإرادة الكونية القدرية:مرادفة للمشيئة، لا يخرج عن مرادها شيء؛الكافر والمسلم تحتها سواء، والطاعات والمعاصي، كلها بمشيئة الله وإرادته يعبر عنها بقول المسلمين:ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.تعني:(المشيئة الشاملة لجميع الحوادث) [2]، تتعلق بكل ما يشاء الله تعالى فعله وإحداثه، سواء أحبَّه، أو لم يرضه من الكفر والمعاصي، مثل قوله تعالى: {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ}[الرعد: آية ١١]، وقوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}[الأنعام:آية

(١) مجموع فتاوى أحمد بن تيمية: ٢٦٦/١١، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية ٢٠٠٤

(٢) شرح العقيدة الطحاوية:ابن أبي العز الحنفي، تحقيق عبد الله التركي٧٩/١، ط١، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨

١٢]، وقوله تعالى:(وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[المائدة:آية٤١].

إرادة الله الكونية واقعة، مستحلة التغيير، مثل الميلاد والموت اللون الرزق، تتعلق بكل ما في العالم، بما يحبه الله وما لا يحبه، مقصودة لأمور غيرها، كخلق إبليس والشر والأخطاء، تحدث بسببها أمور كثيرة كالتوبة والاستغفار.لا يخرج عن مراد الله شيء، فالكافر والمسلم، الطاعة والمعصية كلها بإرادته{وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ}[الرعد:آية ١١].لابد من وقوعها؛فالله إذا شاء شيئاً وقع، كإحياء أحد، أو إماتته، أو غير ذلك.تنفرد بكفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت يدل على أن الله شاءها؛لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته، وكونها غير محبوبة ولا مرضية لله، دليل على أنها كونية لا شرعية

ثانيا الإرادة الشرعية:

تعني الإرادة الدينية الشرعية:(إرادة الله تعالى المتضمنة للمحبة والرضى)(١)، تتعلق بكل ما يأمر الله تعالى به عباده ممَّا يحبُّه ويرضاه.مقصودة لذاتها ؛فالله تعالى أراد الطاعة وأحبها، وشرعها ورضيها لذاتها.الإرادة الشرعية كإرادة الإيمان من كل إنسان، فلا يلزم وقوعها، فقد تقع، وقد لا تقع، ولو كان لابد من وقوعها، لأصبح الناس كلهم مسلمين.

يعبر عن الإرادة الشرعية بمثل قول الناس لمن يفعل القبائح:هذا يفعل ما لا يريده الله؛أي لا يحبُّه، ولا يرضاه، ولا يأمُر به.و بقول الله تعالى:(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)[البقرة:آية ١٨٥]وقوله سبحانه:(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[النساء:آية ٢٦].وقوله جل شأنه:(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ

(١) المصدر نفسه:٧٩/١

تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)[النساء:آية ٢٧، ٢٨]

يستطيع الإنسان أن يخالف الإرادة الشرعية، فقد أمره الله تعالى بأداء الصلاة، إذا صلى كتبت له طاعة، وإن لم يصل، كتبت عليه معصية.تجتمع الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية في مثل إيمان المؤمن وطاعة المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، وتنفرد الإرادة الشرعية في مثل إيمان الكافر وطاعة العاصي

تجتمع الإرادتان في حق المطيع، فالذي أدى الصلاة ـ مثلاً ـ جمع بينهما؛لأن الصلاة محبوبة لله، أمر بها ورضيها وأحبها، فهي شرعية من هذا الوجه، ولأنها وقعت، دل على أن الله أرادها كوناً، فهي كونية من هذا الوجه.وتنفرد الإرادة الشرعية بأفعال العباد الاختيارية، في مثل إيمان الكافر المأمور به، وطاعة العاصي المطلوبة منه، بدل

معصيته، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع ـ مع أمر الله بها ومحبته لها ـ دليل على أنها شرعية؛فهي مرادة محبوبة، لم تقع.

من عرف الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، ولم يخلط بينهما، سلم من الوقوع في الشبهات.ما أراد الله تعالى حصوله في الكون حققه بالإرادة الكونية القدرية، فهي تعم أفعال العباد الاضطرارية والاختيارية، واقعة لا محالة، غير لازمة لمحبته تعالى للشيء.مثل:إرادة كفرِ الكافر، فإن كفره أمرٌ لا يحبُّه الله تعالى ولا يرضاه، لكن الله تعالى أراده كونًا لأنَّه قد وقع، ولا يقع في ملكه إلا ما يشاء.

ما أمر الله تعالى به أو نهي عنه في الشرع، تعلق بالإرادة الشرعية.أقدر الله عباده علي فعل الأمر والنهي ليبتليهم.الامتثال بالطاعة، أو الرفض بالمعصية، يلزم منها محبة الله تعالى للشيء، ولا يلزم منها وقوعه.مثل:إيمان الكافر، فإن الله

تعالى يريد منه الإيمان شرعًا ويحبُّه منه، لكنه لم يرده كونًا، لكونه لم يقع.قد يجتمعان فيكون الفعل مرادًا لله شرعًا وكونًا مثل:إيمان المؤمن، فإنه أمر وقع، يحبه الله ويرضاه

أوجب الله تعالى على الناس عبادته بالأمر الشرعي، فكلف العبد بما أمره الله به شرعًا، وليس بما قدَّره كونًا.فكفر الكافر أراده الله تعالى كونًا، لأنه وقع، ولم يرده شرعًا، لأنه لا يحبُّ الكفر ولا يرضاه، وأمره الشرعي للكافر بالإيمان، لا يتعارض مع ما سبق في علمه، أنه لن يؤمن.

خطيئة آدم عند النصارى

توارث الناس الذنب من أبيهم آدم "عليه السلام"إلي أن تقوم الساعة"حسب اعتقاد النصارى" هو الهاجس الذي برر به الملحدون إلحادهم، وبرر به سارتر فكره الوجودي، ولم يواجهوا أنفسهم بسؤال.إذا استمر تعاقب الذنب على الأبناء، فما جدوى صلب أعز الأبناء؟إذا بقيت الخطيئة بعد الصلب، ولم ينته أثرها، فما فائدة صلب السيد المسيح؟ إذا كان في العالم الكثير من الشرور والخطايا والآثام، فلماذا تهمل كل هذه المعاصي، وتجمع كل هذه الذنوب فقط، في خطيئة آدم"عليه السلام" بأكله من الشجرة.

قصر الذنوب على خطيئة آدم"عليه السلام"، يلبس الناس رداء الجبر والقهر، ويناقض الواقع، وينزع عن الله تعالى أخص صفاته" الرحمن الرحيم"، فقد كتب على نفسه الرحمة.أقام النصارى مبدأ توارث الذنب على تأثير الأسباب الطبيعية الذاتي في المسببات، تأثير بالطبع، نتيجته حتمية لا تتخلف أبدا، وغفلوا على أن المؤثر الحقيقي في هذا العالم هو الله وحده، خالق كل هذه الأسباب

تأثير الأشياء بعضها في البعض خاضع للمؤثر المباشر، من قبل المبدأ الحق، وفقا لقاعدة لا فاعل في الوجود إلا الله، والعلاقة بين الأسباب والمسببات تفسر

بالمصاحبة، اقتران وتتابع دون الضرورة، يقتصر التأثير فيه على الإرادة الإلهية.

ألغى الله سبحانه وتعالى التضحية بالبشر، بفداء نبيه إسماعيل عليه السلام، بذبح كبير، فما وجه الضرورة لعودتها مع نبي الله عيسى عليه السلام.الله هو الحكم العدل الرحمن الرحيم، الرحمة ذاته، يغفر بها الذنوب جميعا، بتوبة العباد.تأبي النصارى على الله ذاتيته، ويطالبون بالذاتية لأنفسهم، وذاتيتهم الحرية نسبوها لأنفسهم، ونفوها عن الخالق.من خلق وهب، ومن وهب رحم، ذاتيته الرحمة، يغفر لمن يشاء الخطيئة دون الاحتياج للتضحية بنبيه، لأنه الغني عن العالمين

موقف الإسلام من خطيئة آدم

قال تعالى: {وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ.ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ}[طه:آية ١٢١:١٢٢]، قال تعالى:{فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[البقرة : آية٣٧]هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هي الاعتراف بالذنب، و الإقرار بظلم النفس، والندم على الفعل بالتوبة، بقولِهِ تَعَالَى:{قَالَا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ}[الأعراف: آية٢٣]

في حديث احتجاج موسي وآدم "عليهما السلام"وقع اللوم فيه على المصيبة، التي أخرجت آدم وأولاده من الجنة، لا على الخطيئة.فإن القدر يحتج به عند المصائب للاستسلام، فإنه من تمام الرضا بقضاء الله، وليس عند الذنوب ولا عند المعايب والأخطاء.فلم يحتج "آدم عليه السلام "بالمعصية، وهي سبب خروجه من الجنة، بل احتج بالخروج نفسه(قال آدم: أتلومني على أن عملت عملا، كتبه

الله علـى أن اعملـه، قبـل أن يخلقنـي بـأربعين سـنة، فحـج آدم موسـي)[1].خلـق الله سـبحانه وتعـالى آدم عليـه الـسلام وابـتلاه وأخرجـه مـن الجنـة بإرادتـه الكونيـة، وعصـى آدم ربه بإرادته الشرعيه.وبفضل الله وإحسانه تلقى آدم من ربـه كلمـات فتاب عليه، فمن بادر بالتوبة وصدق في التوبة، تاب الله عليه

تقبـل الله توبـة آدم"عليـه الـسلام"، وهداه النبـوة، الـدليل القـاطع علـى قبـول الله لتوبته، فالأنبياء أحب الخلق إلـى الله، وبـذلك يرجـع تـأثير الأسباب فـي مسبباتها بالتأثير العادي، فلا تزر وازرة وزر أخرى، والمؤثر الحقيقي ضـروري التـأثير، هو الخالق الحقيقي

(١) صحيح مسلم:كتاب القدر، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٤٩٢٢)

المبحث الثاني

الرد على الملحدين

أفعال الله كلها خير:

وجود الخطايا والحروب والظلم في العالم، هو التكأة التي يستند إليها الملاحدة، لتبريركفرهم بوجود الله، إذا كان الله موجودا، لماذا لم يمنع كل هذه الشرور؟، إذا كان الله موجودا، فلماذا قهر العباد؟، ونزع عنهم حريتهم، وألزمهم بطريق هو من أعده.

أفعال الله سبحانه وتعالى كلها لحكمة يعلمها هو، قد يكشف للعباد أو بعضهم على شيء من حكمته، وقد يختص بعلمها.يعجز العباد بعقولهم القاصرة عن إدراك الكثير من الحكمة الإلهية، والأمور العامة التي يفعلها سبحانه تكون لحكمة عامة، ورحمة عامة كإرساله محمداً صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[الأنبياء:آية١٠٧]، لا يفعل شيئاً عبثاً، أو لغير معنى، أو لغير مصلحة وحكمة.أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة، لأجلها فَعَل

وضع الله في العالم سننا وقوانين، لا تتخلف مع المسلم ولا مع الكافر، من أخذ بها تحقق هدفه، ومن تخلى عنها لن يحالفه التوفيق.من أخذ بالأسباب، نجح عمله، فالسعي واجب على الإنسان لتحقيق مراده، ووجود الله واجب لترجيح وجود الممكنات"العالم"على عدمه.قد يكون من حكمة الله وقدره، أن يفلت الظالم من عقاب الدنيا، لأن المظلوم لم يأخذ بالأسباب.

التحرر من الخطيئة الهاجس الذي عمل الفلاسفة على التحرر منه، وانطلاقة سارتر لإقامة منهج فلسفي جديد، أسسه على عدم وجود الإله أصل الوجود، وهمش الماهية ليحقق الذاتية بالحرية، وتغافل أنه مجبور في العديد من مكونات الوجود.كالنوع واللون والمكان والزمان، بل في الوجود ذاته، بتعبيره:"أنه ملقى

به في العالم".فيكون التفكير قاصر، والعرض ناقص، والطرح معيب، لأنه لا عطية بغير عاطي.

الذاتية تتحقق فقط، فيما يستطيعه الإنسان، وفيما منحته له الإرادة الشرعية، إفعل ولا تفعل، والاختيار بين الخير والشر، ومقابلة الله بما فزت بالطاعة، أو خسرت بالمعصية. قال سارتر:لقد رومينا إلى هذا العالم، وكل فعل لابد له من فاعل، من الذي رمانا.لابد أن يعود إلي الحقيقة الثابتة أن واجب الوجود هو من رجح وجود الممكنات على عدمها.

أما تغير المعاني وتحول المفاهيم، فهذا بميزان الحواس.لكن العقل أدرك المفاهيم الكلية الثابتة في الأديان السماوية، واصطلاحات الفلاسفة، وعلم أنها مبادئ كلية وقيم ثابتة، لا يجحدها إلا معدوم العقل حسب مفهوم اللغة للعدم بأنه اللاوجود، وليس كما اصطلح سارتر بأن العدم، هو عدم ثبات المعاني في هذا العالم، وتحول المفاهيم وتغيرها باستمرار.فلا وجود لما هو كلى يتفق عليه الجميع، بل هي معاني خاصة يحددها كل إنسان، ويقرر ما يريد إدراكه، باختيار ما له معنى بالنسبة له، ويعلو شعار اللاحقيقة

يرفض سارتر أن يكون مراقب من الله تعالى، تحت فحصه المستمر، بزعم حريته وتحقيق ذاتيته، وصاحب الفطرة السليمة، يرجو أن يكون محاطا برعاية الخالق، فقد اعتاد الناس، بان من له أبا، ينعم ويطمئن، فكيف الحال إذا كان له رب؟، سبب اطمئنان العبد في هذا العالم.ما يراه سارتر انتهاك للخصوصية وحجر على الحرية، هو ما يمثل عند المسلمين طمأنينة، تغرس في قلب المرء أن له ربا عظيما يرعاه، لا يتخلى عنه وقت المحن، يزيل الغم والهم، ويكشف الضر، ويقبل الدعوات، أقرب إليه من حبل الوريد

مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، فاز

من زكى نفسه فقد أفلح، وفاز بسعادة الدنيا و الآخرة، {مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى٠فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}[النازعات: آية٤٠-٤١].أبو جهل بما تميز به من دناءة السيرة وسوء الفطنة، لم يسر على درب الفاروق عمر بن الخطاب"رضي الله عنه"، وقد دعا لكلاهما النبي أن يعز الله الإسلام بأحدهما.هدى الله من استحق الهداية، عمر الفاروق، الذي فرق بين الحق والباطل، فلم ينقصه من النبوة إلا نزول الوحي.و أبو جهل أعمى القلب والعقل عاند الحق وتكبر، أخذته العزة بالإثم، مع يقينه بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان من ضمن من لقبوه بالصادق الأمين.

أبو جهل كل عصر ومن على شاكلته، يمنعه غروره، أن يعترف بالحق، استكبارا في الأرض ومكر السيئ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، من صد عن طريق الحق ضل، والاعتراف بالحق فضيلة، لا يفوز بها، إلا الذين يمتلكون شجاعة الاعتراف بالحق، مع العدو قبل الصديق.

إن الخالق ليس فوقه آمر ولا ناه، فلا يوصف بالظلم، أو بإكراه العباد بنزع الحرية عنهم، أو إلزامهم بطريق محتوم.الابتلاء دليل الحرية، وتأكيد على ذاتية الإنسان، ما يبتلى العبد إلا لقدرته على الاختيار، وما يقع فيه العبد من الذنوب، هو عقوبة له على ذنوب سابقة، فالذنب يكسب الذنب، لأن الذنوب كالأمراض يورث بعضها بعضها.

إن العاقل متى تأمل في نفسه علم أنه مختار في ما يفعله، لأنه متمكن من مباشرة ذلك الفعل أو تركه، فلا يكلف الله تعالى مكرها أو عاجزا، والفاعل المختار تأتى أفعاله حسب قصده ودواعيه.قمة العدل أن أفعاله تعالى كلها عدل،

لأن العالم ملكه، ومن حكم في ملكه، فما ظلم.لا ظلم منه أصلا، لأنه تصرف في ملكه، جزاؤه فضل منه، وجوب ذاتي، أو التزام لا إلزام، يعني به الأولى و الأحكم، ولا يجب عليه عقاب، والواقع منه كله عدل

يزعم سارتر أن الإنسان من يخلق ماهيته وشخصيته، معتمدا على العلاقة الطبيعية

الحتمية بين الأسباب والمسببات، علاقة لا تتخلف أبدا، تعمل بذاتها لا تحتاج لخالق، وتوارث الخطيئة بقانون الحتمية.وأصل الإيمان في جميع الأديان السماوية، هو التوحيد، وإفراد الله بالخلق والعبادة

فسر الأشاعرة علاقة الأسباب على المسببات بالأثر العادي، لأن الله من أقدرها على التأثير، قد يتخلف هذا الأثر بإرادته، كما حدث مع معجزات الأنبياء، ليعلن الله:أنه خالق العالم، أرسل الرسل، وأجرى على يديهم المعجزات، وأن الله الذي خلق قوانين العالم وسننه قادر على إيقافها، بكن فيكون، وهذا وارد في كل المعجزات، كما قال تعالى:﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء:آية ٦٩]

التأثير الذاتي للأسباب في المسببات يعني تعدد الإله، فتكون النار إله والماء إله والنوم إله، وأساس الإسلام، وكل الأديان السماوية التوحيد، لا اله إلا الله، لذلك أعلن الخالق الفاعل الذاتي:لا إله إلا الله محمد رسول الله.وبين بالتطبيق العملي، أن طبيعة الأشياء قد يتخلف تأثيرها بأمر الله، ولو لم تتخلف بأن كل ماء تروي، وكل نار تحرق، سوف يعارض ذلك وجود المعجزات التي تقرر، أن طبيعة الأشياء قد تعطل من قبل الله تعالى الفاعل الحقيقي، فهي ليست حتمية لا تأثر بذاتها، تتخلف بحدوث المعجزات، ، كنقل عرش بلقيس، وميلاد المسيح "عليه السلام بغير أب، ورحلة الإسراء والمعراج

إن ما قرره سارتر وأصحابه الوجوديين، من تحمل الإنسان مسؤولية نفسه دعوة عظيمة، تمكن الإنسان من تحقيق ذاته وتنهض به وبالمجتمعات، وتنمي قدرته على الابتكار، بشرط ألا يقابل ذلك، التخلص من كل قيد اجتماعي، أو التزام أخلاقي، والتنصل من الالتزام بحقوق خالق العالم، الذي منحك أفعالا اختيارية، تمارس حريتك فيها كيف تشاء، أما الأفعال الاضطرارية، فليس لك منها إلا السمع والطاعة، فقد قبلت الوجود في أرضه، فعليك أن ترضى بحكمه، فمن حكم في ماله فما ظلم.

الخاتمة

١- قرر أرسطو في منطقه:أن لكل شيء ماهية، وللإنسان ماهيته أو حقيقة قائمة فيه قبل أن يولد.و من أعظم معاني الإنسانية أن يتمسك الإنسان جيدا بأصله، الذي يعطي للإنسان هدفا، ولد لتحقيقه.لم يكن على الإنسان أن يختار الطريق، أو يبحث عن الهدف، فقد أعده الله له مسبقا، يسمى هذا بالتصور الماهوي، الذي اعتقده الكثير من الفلاسفة، وما زال مقبولا لدى البعض إلى يومنا هذا.بدل الوجوديون ومعهم سارتر ذلك، بالتصور الوجودي الذي يقرر، أن الإنسان يلقي به في هذا العالم، ثم يكون ماهيته بما يختار من معاني الحياة، ليحقق هدفه، مع تمتعه بالذاتية والحرية

٢-العدمية عند الوجودية، هي عدم وجود حقائق أبدية، لا يوجد هدف أبدي، لا يوجد معنى مطلق للوجود الإنساني، وكل ما نصادفه في الحياة تفاهة اللا معنى.لا يوجد إله، إذا لا يوجد معنى مطلق للحياة الإنسانية

٣-الإنسان يصنع قيمه بنفسه، لا وجود لما يعرف بالإنسانية "الكلي"، يوجد أشخاص، رجال ونساء، لا وجود إلا لمعطيات الوجود المحسوس، الخاص الفردي.ولعدم وجود حقيقة عالمية سائدة "المعنى الكلي للشيء"، فلا وجود لما يوحد فهم الناس، وفكرهم للواقع.الواقع ذاته مناف للعقل، وغير منطقي، لا شيء يتلاءم مع الآخر بأي طريقة، وهو شكل آخر من العدمية.

٤-في الوجودية ألقى سارتر على الإنسان المسئولية التامة، في اختيار أسلوب حياته، عندما يختار الإنسان لنفسه، فهو يختار أيضا لكل الناس.فهي تجربة ذاتية مباشرة يعايشها الإنسان، تختلف من شخص إلى آخر، ترفض الأخذ بخبرات الآخرين أو تجاربهم.تمكن الإنسان من حرية التعبير والابتكار، تخرجه من القولبة والخضوع للتفكير الجماعي، وتخلصه من كل قيد أو التزام، سواء كان ديني أو أخلاقي

٥-الحرب العالمية وفكرة توارث الخطيئة من لدن آدم إلى جميع الناس، هي الدافع الأساس للفكر الوجودي، والداعي الأول الذي بنى عليه سارتر فلسفته، فنادي بالذاتية وحرية الإنسان. وهذا كلام يقبله العقل ويتفق مع الواقع، لأن الله منح الحرية للناس جميعا، في جميع رسالاته السماوية، وخاصة في الإسلام.والذي يناقض العقل ويتباين مع الواقع، طرح سارتر فلسفته على فرض عدم وجود الله

٦- يمكن أن يكون لحياة الإنسان معنى، إذا أراد أن يحددها، وإذا لم يكن للعالم أي غاية يمكن للإنسان صبغه بأي غاية يريدها، إذا كان على العالم أن يمتلك المعاني الأكثر قيمة بالنسبة للناس، مثل العدالة والنظام، فعلي الإنسان وضعها بنفسه، وإلا لن توجد هذه المعاني

٧- الوجود يسبق الماهية عند سارتر، فلا عذر للإنسان بإحالة سلوكه، وتفسير أسباب تصرفاته إلى وجود طبيعة إنسانية مسبقة،ومحدودة الصفات.و يصير كل تفسير بالحتمية تفسيرا مستحيلا، ويصبح الإنسان حرا، بل يصبح هو الحرية السمة التي تميز الإنسان وتقيم ذاتيته، فإذا لم يكن الإنسان حرا فعليا، يقرر مصيره بنفسه، ويكون قانونا لنفسه، لا يخضع لأي حكم، سواء كان حكما دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا، فهو ليس إنسانا، فأوجب سارتر التخلص من كل ما يهدد ذاتية الإنسان

٨- قال تعالى:{**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى.وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**}[النجم:آية:٣٩:٤٠] يجب أن يسعى الإنسان فيما يخصه، ويقدره ويستطيعه، وما يخص الله، هو وشأنه فيه.

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ.وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ.وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

ثبت المراجع

١-القرآن الكريم
٢-أطلس الفلسفة:بيتر كونزمان، بيتر بوركارد، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية **١٩٩١**
٣-التكرار:سورين كيركجارد، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط١ دارالكلمة للنشر ٢٠١٣
٤-خوف ورعد:سورن كيركجارد، ترجمة فؤاد كامل، ط١، دار الثقافة للنشر، القاهرة١٩٨٤
٥- شرح العقيدة الطحاوية:ابن أبي العز الحنفي، تحقيق عبد الله التركي، الجزء الأول، ط١، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨
٦- مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، ج ١١، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية ٢٠٠٤
٧-المعجم الوجيز:وزارة التربية والتعليم ٢٠٠٤
٨-الموسوعة الفلسفية المختصرة:جوناثاي ري، وج.أو.أرمسون، ترجمة فؤاد كامل
هكذا تكلم زرادشت:فردريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير الإسكندرية
٩- الوجود والعدم :سارتر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الآداب بيروت
١٠-الوجودية:جون ماكوري، ترجمة إمام عبد الفتاح، مراجعة فؤاد زكريا، دار المعرفة ١٩٨٢
١١-الوجودية مذهب إنساني:سارتر، ترجمة عبد المنعم الحفني، ط١، مطبعة الدار المصرية ١٩٦٤**م.**